

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

البوسنة في الشعر العربي المعاصر

دراسة ومختارات



قصائد انتخبها وأعدها
محمد المشايخ

وترجمها إلى البوسنية
إلما دزدار وميرزا سارايكيتش

البوسنة في الشعر العربي المعاصر   دراسة ومختارات

قصائد انتخبها وأعدها محمد المشايخ
وترجمها الى البوسنية إلما دزدار - ميرزا سارايكيتش



مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري



BOSNA U SAVREMENOJ ARAPSKOJ POEZIJI
IZBOR PJESAMA I STUDIJA

Izabrao i priredio
Muhammad al-Mašāyih

Prijevod na bosanski jezik
Elma Dizdar i Mirza Sarajkić



البوسنة في الشعر العربي المعاصر

دراسة ومختارات

قصائد انتخبها وأعدها

محمد المشايخ

وترجمها إلى البوسنية

إلما دزدار

ميرزا سارايكيتش

الكويت

2010

راجعه

عبدالعزيز محمد جمعة

محمود إبراهيم البجالي

الصف والتنفيذ

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

إخراج وتصميم الغلاف

محمد العلي

صورة الغلاف بعدسة عبدالرحمن خالد البابطين

الطبعة الأولى

تصدر بمناسبة انعقاد الدورة الثانية عشرة للمؤسسة

دورة خليل مطران ومحمد علي/ ماك دزدار

سراييفو/ البوسنة

١٩ - ٢١ أكتوبر ٢٠١٠م.



مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 22430514 - فاكس: 22455039 (965+)

E-mail: kw@albabtainprize.org

التصديـر

درجت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، في دوراتها التي تحتفي بشاعرين من قطرين مختلفين على إصدار مختارات للشاعرين تترجم إلى اللغة الأخرى، وفي هذه الدورة «دورة خليل مطران ومحمد علي/ ماك دزدار» عملت المؤسسة بالفكرة نفسها، فترجمت مختارات من الشعر البوسنوي وترجمت أيضًا (ديوان النائم الحجري) إلى اللغة العربية، وبالمقابل ترجمت مختارات من روائع خليل مطران إلى البوسنوية.

وفي هذا السياق نضع بين أيدي القراء الأعزاء في البوسنة كتاب «البوسنة في الشعر العربي المعاصر» وهي مختارات من كمٍّ ضخم قاله الشعراء العرب تعاطفًا مع البوسنة وشعبها ونصرة له في المحنة التي تعرض لها في العشرية الأخيرة من القرن الماضي، وقد نهض باختيار القصائد ودراستها الأستاذ محمد المشايخ وقامت بترجمتها الدكتورة ألما دزدار، فلهما جزيل الشكر والتقدير.

يحدوني الأمل أن يجد القارئ والباحث البوسنوي في هذه المختارات تعبيرًا صادقًا عن المحبة والتعاطف والمؤازرة من أبناء الأمة العربية وخير من يمثلهم الشعر والشعراء، فقد وصفوا وناصروا وأكدوا حقَّ شعب البوسنة بكلِّ مكوناته في الاستقلال والعيش بسلام.

ولا أزعم أن الشعراء فقط من أبناء الوطن العربي هم الذين كانوا وحدهم المتعاطفين مع شعب البوسنة، ولكنهم كانوا الأعلى صوتًا في المعركة فمثّلوا حقيقة الضمير العربي المناصر للبوسنة، اعتقادًا صحيحًا منهم بعدالة قضية شعبها وتحقق مظلوميته والاعتداء السافر عليه.

وهذا الكتاب يتيح الفرصة لأبناء البوسنة والهرسك للاطلاع على الموقف الشعبي العربي أثناء الأحداث المؤلمة المؤسفة.

والله ولي التوفيق،،

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ٥ من شعبان ١٤٣١هـ

الموافق ١٧ من يوليو ٢٠١٠م

****

أولاً: الدراسة

البوسنة بين الشرق والغرب

تتبدى في قصائد الشعراء العرب المتخصصة بالبوسنة والهرسك، ثقافتهم التاريخية، التي تُوضح عبر جمال الشعر وبهائه، أنهما كانتا تُشكلان جسرًا يُعزز التواصل الحضاري والثقافي بين الشرق والغرب، الأمر الذي بدأ مع دخول الإسلام للبوسنة عام ١٤٦٣، والهرسك عام ١٤٨٢، ومع بدء انتشار الإسلام فيهما، أخذت تأثيرات الحضارتَين، الإسلامية والشرقية، تعم البلاد، طيلة فترة الحكم العثماني التي استمرت قرابة خمسة قرون، حتى ترنّحت بنشوب حرب البلقان، عام ١٩١٢، وانتهت مع انتهاء الحرب العالمية الأولى، في شهر تشرين الثاني من عام ١٩١٨، التي كان من أبرز ما أسفرت عنه انهيار الإمبراطورية العثمانية، وتأسيس المملكة اليوغسلافية التي ضمت صربيا والجبل الأسود وكرواتيا وسلوفينيا والبوسنة والهرسك.

أي أن جذور الثقافة العربية بخاصة، والمشرقية بعامة، في البوسنة والهرسك، تعود إلى خمسة قرون مضت، وذلك عندما كان البوسنيون يكتبون ويؤلفون ويقرأون اللغة البوسنية التي تنحدر من أصل سلافي بالحروف العربية، علمًا بأن تلك اللغة، كانت غنية بمفردات عربية الأصل، الأمر الذي يظهر في المخطوطات النادرة التي تحتضنها مكتبة (غازي خسرو بك) في سراييفو، ونتج عن استخدام الحروف العربية في اللغة البوسنية نوع من المؤلفات أُطلق عليها (الحاميادو)، المشتقة من الأميادو، وهي كلمة إسبانية عربية تعني الأدب الأعجمي، أو الأدب غير العربي، وهي إفراز لحب المسلمين الجدد في البوسنة والهرسك للقرآن الكريم، المكتوب باللغة العربية، وطوال فترة حُكم الإمبراطورية العثمانية الإسلامية للبوسنة، لم تُلغ الهوية القومية للمسلمين الجدد، ولذلك ازدهرت ثقافة هؤلاء المسلمين بعد اختلاطها بالثقافة الشرقية.

وينسب أ. د.محمد الأرناؤوط أستاذ التاريخ في جامعة آل البيت « الأردنية»، في كتابه (البوسنة ما بين الشرق والغرب) الصادر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشق عام ٢٠٠٥، للدكتور أنس كاريتش عميد كلية الدراسات الإسلامية في سراييفو قوله « إن البوسنة تمثل أقصى امتداد للمسلمين في الغرب كشعب لهم جذورهم وثقافتهم، وأنها تمثل أيضًا جسراً مزدوجاً: الجسر الذي يقود من الغرب إلى الشرق والجسر الذي يقود من الشرق إلى الغرب».

ورغم انقطاع التواصل الذي حصل بعد خضوع البوسنة للاحتلال النمساوي من جهة، وتعرّض معظم الدول العربية للانتدابين البريطاني والفرنسي من جهة أخرى، إلا أن بعض الشخصيات حملت على عاتقها مسؤولية استمرار ذلك التواصل، من مثل ولي عهد مصر الأمير محمد علي الذي قام بزيارة إلى البوسنة تمّ نشر وقائعها مؤخرًا، و يُعرّف أ.د.الأرناؤوط بالعالِم البوسنوي الأبرز على صعيد تحقيق هذا التواصل في النصف الأول من القرن العشرين، وهو محمد الخانجي (١٩٠٦-١٩٤٤)، الذي كان من أكثر العلماء تأليفًا ونشرًا وتأثيرًا، عدا عن كونه معروفًا للجهات المعنية بالثقافة الشرقية/ الإسلامية، حيث كانت نشأته في فترة مخضرمة (عثمانية/ نمساوية/ يوغسلافية)، وفي عاصمة متنوعة الثقافة (الشرقية والغربية): سراييفو، ومعرفته الجيدة باللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية)، واهتماماته المتعددة (اللغة والأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية)، وكلها أمور ساعدته على أن يُكوّن ثقافة واسعة تجمع ما هو محلي/ بوسنوي مع ما هو شرقي وغربي، وكان لذهابه إلى القاهرة للدراسة في الأزهر في فترة مهمة (نهاية العشرينيات) عرفت فيها القاهرة مختلف التيارات الليبرالية والإصلاحية الإسلامية، ولذلك فإنه عاد إلى البوسنة ليحمل معه هذه الروح الجديدة إلى المسلمين في البوسنة، الذين كانوا يعايشون فترة تحولات صعبة، وكان لكتبه ودراساته ومقالاته التي تتعلق بالبوسنة وتاريخها وثقافتها أهمية كبيرة، لأنها أحيت باستمرار الوعي بوجود بوسنة متميزة وبوجود ثقافة متميزة للمسلمين فيها، وفي هذا الإطار يبرز كتابه «الجوهر الأسنى في تراجم علماء وشعراء البوسنة»الذي ضمّ سيرة مئتين وثلاثة وعشرين من أولئك الأعلام والشعراء الذين كانت لهم اليد الطولى في تحقيق التواصل ما بين الشرق

والغرب، رغم أن أقدمهم لم يتجاوز القرن التاسع الهجري، كما يَبْرز كتابه «المؤلفات الأدبية للمسلمين في البوسنة والهرسك» و كتابه «انتشار الإسلام في البوسنة والهرسك» وغيرها، كما أن «الأعمال الكاملة» لخانجيتش صدرت (عام ١٩٩٩)، أي في الوقت الذي أصبح يُسمح فيه لكاتب المقدمة (د. أسعد دوراكوفيتش) أن يُشيد بما كان لخانجيتش من دور في تأصيل الوعي بالبوسنة وثقافتها المتميزة.

ويُبرز أ.د. محمد الأرناؤوط في كتابه نفسه، دور العالم البوسنوي الحافظ محمود تراليتش(١٩١٨-٢٠٠٢)، في الحفاظ على ارتباط البوسنة بالشرق، حيث أصدر في زغرب عام ١٩٩٤، الطبعة الأولى من كتابه «أعلام بوسنوية» الذي ضمّ سير (٣٥) علماً من أعلام البوسنة، وزاد عليها في طبعته الثانية عام ١٩٩٨(٢٠) علمًا، وجميعهم كانوا من الباحثين في الدراسات العربية والإسلامية، أو من العاملين في المؤسسات الإسلامية (مفتون وأئمة ووعاظ)، كما ينقسم الأعلام الذين توقف الباحث عندهم، إلى أقسام عديدة، أبرزها القسم الذي تابع تحصيله في الأزهر بالقاهرة، بعد أن أصبحت البوسنة جزءاً من يوغسلافيا (آدم كاراجوزوفيتش ١٨٩١-١٩٨١، ودرويش كركوت ١٩٠٠-١٩٤٣، وبسيم كركوت ١٩٠٤-١٩٧٥، ومحمد خانجيتش ١٩٠٦-١٩٤٤، ومحمد فوتشاك ١٩٠٦-١٩٧٨، وقاسم دوبراجا ١٩١٠-١٩٧٩، وغيرهم).

وتكوّنت هذه المجموعة في القاهرة خلال فترة غنية بالأفكار الإصلاحية في العالم الإسلامي (نهاية العشرينيات وطيلة الثلاثينيات)، ولذلك حملت معها روح وأفكار محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وشكيب أرسلان، وغيرهم إلى البوسنة، وكان النتاج العلمي لهؤلاء الأعلام متنوعًا، ويتسم بالكثرة، إذ يتألف من عشرات الكتب ومئات المقالات والدراسات التي تدور في مجال الدراسات العربية والإسلامية، ويتناول جزء منها تاريخ البوسنة خلال العهد العثماني ١٤٦٣-١٨٧٨، وبالتحديد تراث البوسنة في اللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية)، لما في ذلك من علاقة بالمجال المذكور، وتبرز ثلاث مجموعات كبيرة ضمن هذا النتاج، هي:

١ - الكتب والمقالات التي تعرّف بالإسلام عقيدة وثقافة، سواء بغرض التعليم (نصوص تعليمية/مدرسية)، أو بغرض الثقافة العامة (مقالات ودراسات في المجلات

الكثيرة التي كانت تعنى بهذه المواضيع، مثل: «الهداية» و «نوفي بهار» و «إسلامسكي سفيت» وغيرها).

٢ - الكتب والدراسات التي تتعلق باللغة العربية تاريخاً وتعليماً سواء للتلاميذ والطلاب (في المدارس الإسلامية أو في الكلية / الجامعة) أو للمعنيين بشكل عام، ويذكر منها كتاب أ.كاديتش و أ.بوليتش «قواعد اللغة العربية وتمارين» (سراييفو١٩٠٧)، وكتاب ش.سيكريتش و م.باشيتش و م.خانجيتش «قواعد وصرف اللغة العربية» (سراييفو ١٩٣٧)، وكتاب بسيم كركوت «قواعد اللغة العربية ١-٢» (سراييفو ١٩٥٢).

٣ - الترجمات المختلفة من اللغة العربية إلى اللغة البوسنوية، والتي كانت تشتمل على ما يتعلق بالإسلام والأدب والتاريخ، والتي أبقت البشانقة على تواصل مع الشرق، بعد أن أصبحت القراءة في اللغة العربية أو في البوسنوية بالأبجدية العربية مقتصرة على حلقة ضيقة من العلماء، وعلى سبيل المثال ذكر أول مختارات من الشعر العربي (من شعراء المعلقات حتى البوصيري) التي اختارها وترجمها إلى اللغة البوسنوية علي كاديتش(سراييفو ١٩١٣).

وثمة دور في استمرارية التواصل بين الشرق والغرب اضطلع به أعلام البوسنة بعد الحرب العالمية الثانية، رغم تعرض بعضهم للسجن أو الموت سواء خلال الحرب أو بعد وصول الحزب الشيوعي إلى السلطة عام ١٩٤٥، وانقسموا بدورهم إلى قسمين: قسم شارك في العمل في «الجماعة الإسلامية» بعد إعادة تنظيمها في الدولة الجديدة، بعد أن بقي منصب «رئيس العلماء» شاغراً خلال السنوات ١٩٤١- ١٩٤٥، وقسم آخر انشغل في تأسيس معهد الاستشراق، وقسم الاستشراق في جامعة سراييفو بعد تأسيسهما عام ١٩٥٠، وضمن القسم الثاني يبرز بسيم كركوت ١٩٠٤-١٩٧٥، وعمر موشيتش ١٩٠٣-١٩٧٢، و د.شاكر سيكريتش ١٨٩٣-١٩٦٦، الذين ساهموا في بلورة مدرسة جديدة للاستشراق تختلف عن المدرسة التي كان يمثلها قسم الاستشراق في جامعة بلغراد، التي كانت أقرب إلى النزعة الأوروبية المركزية، وجعل هؤلاء الأعلام في صلب اهتمامهم دراسة التراث الشرقي للبوسنة باعتباره جزءًا من تاريخهم وليس موضوعاً لدراسة الآخر.

وهنا يذكر أ.د.محمد الأرناؤوط أن أبرز الكنوز الثقافية التي فُقدت إلى الأبد، والتي تتمثل في آلاف المخطوطات الشرقية التي كانت مجموعة في معهد الاستشراق في سراييفو، منذ الفتح العثماني للبوسنة، ذلك الفتح الذي تسبّب في انتشار الإسلام بسرعة، حتى أصبح دين الغالبية، ومع انتشاره، انتشرت اللغة العربية، وأصبحت إحدى لغات التأليف، وأخذ العلماء المحليون يحرصون على اقتناء ونسخ المخطوطات في اللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية)، ثم التأليف فيها، مما أدى مع الزمن إلى تراكم آلاف المخطوطات التي توزعت في المكتبات الخاصة، أو في المكتبات شبه العامة، أي في الجوامع والمدارس التي تُعتبر مكتبة الغازي خسروبك في سراييفو من أشهرها، حيث تعود نواتها إلى سنة ٩٤٤هـ/ ١٥٣٢م، ولكن مع نهاية الحكم العثماني شهدت البوسنة سلسلة من الحروب والتطورات المتسارعة التي أخذت تؤثر بدورها على مصير هذه المخطوطات، فقد احترق قسم منها نتيجة للحروب التي طالت بعض المنشآت والبيوت التي كانت توجد فيها، كما أن عدم الاهتمام بها من الأجيال الجديدة، وتسرب بعضها إلى الخارج كان يمكن أن يؤثر عليها أكثر، ومن هنا جاء تأسيس معهد الاستشراق في سراييفو عام ١٩٥٠ في وقته، إذ إن قانون تأسيسه قد نص على قيامه بجمع وتحقيق ونشر المخطوطات في اللغات الشرقية، وهكذا فقد كانت أول وأهم مهمة للمعهد هي تجميع هذه المخطوطات المبعثرة في كل أرجاء البوسنة والهرسك، سواء بواسطة الشراء أو بواسطة الإهداء، وخلال ربع قرن كان عدد المخطوطات فيه قد وصل إلى (٥٢٦٣) مخطوطة في اللغات الشرقية الثلاثة (العربية والتركية والفارسية) بالإضافة إلى اللغة البوسنوية المكتوبة بالحروف العربية، مما كان يجعلها من المجموعات المهمة على مستوى البلقان، وقد ضمّت هذه المجموعة مخطوطات متنوعة تعود أقدمها إلى سنة ٤١٣هـ/١٠٢٣م (ألا وهي «النوازل من الفتاوى» للسمرقندي) وتشمل على ما هو مكتوب خارج البلقان وما هو منسوخ ومؤلف في البلقان، وبالتحديد في البوسنة، وقد قصف هذا المعهد بتاريخ ١٧ أيار ١٩٩٢م، حين كانت المدينة محاصرة من الجهات الأربع، وفي ذلك اليوم أمكن القول إن تلك الثروة الإنسانية من المخطوطات الشرقية التي تجمعت خلال ألف عام قد تلاشت في يوم واحد فقط.

ويتحدث أ.د.محمد الأرناؤوط عن المخطوطات التي تراكمت عبر القرون في المكتبة التي حملت اسم والي البوسنة الغازي خسرو بك في سراييفو، والتي تأسست عام ١٥٣٧م، لتكون مكتبة لمدرسته المعروفة التي بناها قرب جامعه المشهور في سراييفو، ويذكر أنه على الرغم من أن المكتبة دمرت (مع غيرها) خلال الهجوم النمساوي على سراييفو عام ١٦٩٧م إلا أنها انبعثت من جديد، وتطورت بشكل واضح منذ عام ١٨٦٤ حين استقلت في مبنى خاص في جوار الجامع حتى سنة ١٩٣٥ حين انتقلت إلى مبنى أوسع مقابل جامع السلطان، وخلال السنوات ١٨٦٤ و ١٩٣٥ - ١٩٩١ تضخمت وصارت تضم عشرات المكتبات الخاصة لكبار المثقفين في البوسنة، الذين اهتموا بجمع المخطوطات واشتغلوا في تراثها الشرقي، وبعض مكتبات الجوامع والمدارس في البوسنة أيضًا، حتى أصبحت «المكتبة المركزية» للمخطوطات الشرقية في البوسنة وحتى في يوغسلافيا السابقة، ونتيجة لهذه الظروف، تجمعت في المكتبة حوالي تسعة آلاف مخطوطة ما بين كتاب ورسالة في اللغات الشرقية (العربية والتركية والفارسية) واللغة البوسنوية، بالإضافة إلى السجلات الشرعية والوقفيات والوثائق التاريخية والمصادر/ المراجع المطبوعة في اللغات الشرقية والأوروبية، وكانت هذه المجموعة تعتبر من أغنى المجموعات في أوروبا الشرقية، وحتى أن بعض المخطوطات فيها تعتبر من أقدم النسخ المحفوظة في المكتبات العالمية لأنها نسخت في حياة مؤلفها أو بعد وفاتهم بوقت قصير، وقد نجت هذه المكتبة من القصف الصربي خلال سنوات الحرب ١٩٩٢- ١٩٩٥ [1].

أما الفترة التي تلت توقف الحرب على البوسنة في السنوات الأخيرة، فقد شهدت بروز دور قسم اللغة العربية في كلية الفلسفة بجامعة سراييفو، حيث بدأ الشباب يقبلون على الالتحاق به، كما بدأت جهود المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو) والسفارة المصرية في سراييفو، وبنك التنمية الإسلامي، والهيئة العليا السعودية بدأت تتكاتف من أجل تطوير ذلك القسم.

وفي البوسنة والهرسك حاليًا طلبة تخرجوا من أقسام اللغة العربية أو العلوم الإسلامية في البلاد العربية مثل القاهرة والسعودية وغيرهما، كما أن هناك أعمالاً أدبية

---

(١) انظر، موقع اتحاد الكتاب العرب في سوريا على شبكة الانترنت، الموقع:
study.book-sd.htm.www.awu-dam.org/book

مترجمة بدأت تظهر في البوسنة مثل مؤلفات نجيب محفوظ وطه حسين، وأهم وأكبر هذه الإبداعات العربية التي تُرجمت إلى البوسنوية كتاب «ألف ليلة وليلة»، الذي ترجمه الدكتور أسعد دراكوفيتش، ورغم أن العربة الثقافية في القطار البوسني العربي تتوقف حيناً وتسير ببطء أحياناً أخرى إلا أن هناك جهوداً متفرقة للحفاظ على التواصل بين الثقافتين العربية والبوسنية في مواجهة قوى الثقافة الغربية هناك[1].

البوسنة والشعر الإنساني

يُعتبر الأدب، من أهم العلوم الإنسانية، المواكبة للقفزات الثقافية والحضارية التي شهدتها الشعوب، ورغم كثرة التعريفات والقوالب الثابتة التي حاول نقاد العالم حصره بها، إلا أنه كان دائمًا، يستعصي على الجمود والثبات، ويكشف النقاب عن حيويته وشموليته، وقدرته على التعبير الصادق الجميل عن وقع الوجود على وجدان المبدعين، حتى قيل عنه إنه (العلم الذي يشمل أصول فن الكتابة، والذي يُعنى بالآثار الخطية:النثرية، والشعرية، وأنه المعبر عن حالة المجتمع البشري، والمبين بدقة وأمانة، عن العواطف والمشاعر والأخيلة والأحلام والموضوعات التي تعتمل في نفوس، أو بيئة شعب، أو جيل من الناس، أو أهل حضارة من الحضارات)[2].

ولئن كان الإلمام بالحركة الأدبية العالمية، يساعد على الوقوف عند أجمل ما في التراث الإنساني، فإن الاطلاع على دور كل شعب فيه، يحدد مكانة ذلك الشعب، ويُعيِّن بدقة أثر نوابغه، كما أن انهيار السدود، وزوال الحدود من بين البلدان، ووفرة وسائل النشر في العصر الحديث، عوامل أدت إلى (امتزاج الشعوب واستقائها من منابع مشتركة، وإلى تعاونها في تقرير مبادئ متشابهة، والانتماء إلى مذاهب متقاربة، بحيث بدا الأدب المعاصر، على تنوع لغاته، موحَّد الملامح، ضمن التيارات الكبرى، وإن تفرق أنصارها في أرجاء المعمورة.)[3].

وما دامت الحياة، ترفد النفس الإنسانية، بما يؤلمها ويثيرها، فإنها ستظل ترفد العالم، بأدب وفن متفاعلين مع نفس فاعلها، متجاوبَين مع الأمة التي تخص الفاعل،

---

(١) انظر، موقع الجزيرة نت www.aljazeera.net

(٢) جبور عبدالنور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٣١٦.

(٣) انظر المرجع السابق، ص٣١٦.

والعالم الذي هو كُلٌّ يضم الأمم، بينما يأتي الشعر في مقدمة الفنون الإنسانية والأممية، التي تجاوزت الحدود المحلية والإقليمية الضيقة، وسرت في النفس البشرية، مُعبّرة عن مشاعرها الجمعية، وعن أحاسيسها المشتركة، وملتزمة بهمومها وآمالها وتطلعاتها، حتى غدا الشعر(التزامًا طوعيّاً بالهموم الجَمعية، وغدا الشاعر العظيم، هو المرآة الصافية الصادقة، التي تعكس على صفحتها كل ألوان الطيف لأبناء الأمة، وأصبح الشاعر العظيم أيضًا، هو الشاعر الذي يعكس الهم القومي الأكبر، الذي تعاني منه الأمة ؛ وتناضل من أجل التغلب عليه وإزالته)[١].

إن التزام أدباء وشعراء العالم بهموم البشرية الجَمْعية، لم يَحُلْ بينهم وبين الالتزام بهموم بعض الشعوب أو الأمم أو القوميات أو الدول التي تعرّضت للعدوان، ومنها شعب البوسنة، يؤكد ذلك، ما ورد في مقدمة هذه الدراسة حول التواصل بين البوسنة والعالمين العربي والإسلامي، أما قصائد بعض الشعراء العرب، فقد بَيّنت أن سبب اهتمام مبدعيها بالقضية البوسنية، كان يرجع لاعتبارات إنسانية، فهم مع إدراكهم أن البوسنة ليست دولة عربية، وأن نَسَب شعبها لا يعود لأصول عربية، رأوا أن أبناءها أشقاؤهم في الإنسانية، وبالتالي وقفوا إلى جانبهم وفق هذا الاعتبار، ولم يكتفوا بذلك، بل حرّضوا العالم كله على أن ينتصر لهم، وأن يعمل على إنقاذهم، و تخليصهم من محنتهم، وقد عبّر الشاعر «محمد فريد عبد الخالق» عن هذا المعنى حين أخرج قضية البوسنة من بعدها المحلي، مؤكدًا أنها قضية الإنسانية جمعاء:

(لا تقولوا محنةَ البوسنةِ، كلاّ

إنها محنةُ كلِّ الناس طُرًّا)[٢]

ويُعيد الشاعر خالد مظلوم البشرية كلها إلى أب واحد، هو آدم، ويرى أن هذه الأبوة ما كان لها أن تسمح للأشقاء بأن يتحالفوا ويصطفوا ضد أشقائهم:

من أجلِ عنصرةِ العروق تحزَّبوا

وجميعُنا مِن آدمٍ أجيالُ

---

(١) انظر كتاب: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري: عشرون عامًا في الثقافة، كلمات رئيس المؤسسة منذ الدورة الأولى حتى الدورة الحادية عشرة، إعداد الأمانة العامة للمؤسسة، الكويت، ٢٠٠٩، ص٩٤.

(٢) كل المقاطع الشعرية الواردة في هذه الدراسة، مأخوذة من القصائد المنشورة في هذا الكتاب، وتوضح الهوامش المنشورة في نهاية كل قصيدة، مصدرها.

أما الشاعرة أمينة قطب فدعت جيوش شعوب العالم كلها لإنقاذ شعب البوسنة الذي اتخذته شقيقًا لها في الإنسانية، ولإزالة نتائج الحرب التي تعرّض لها، دون أن تخصّ بندائها شعبًا بعينه، فالإنسانية هي مرجع الشاعرة، لأنها تنويرية، وتتسم روحها وعواطفها ونبضات قلبها، مثلما يتسم شعرها بالرؤية الشمولية، وبُعد النظر، تقول:

(يا جيوشَ الشعوب هيّا أزيلوا

من ديارِ الإخوان محنةَ عارِ)

لم يكن هدف الشعراء أن ينالوا في قصائدهم من هيبة الدول أو الأفراد أو المؤسسات، غير أن ما تعرضت له البوسنة من بطش وتدمير، جعلهم يوجهون أصابع الاتهام، لكل الهيئات ذات الصفة الأممية، بل تجاوزوا ذلك، إلى انتقاد القانون الذي ينظم العلاقة المثلى بين أقطار العالم، في الأوقات التي كان يكيل فيها بمكيالين، ولا يرى إلا ما يريده المعتدون، منوّهين هنا إلى أن القانون نفسه، انتصر في نهاية الحرب للبوسنة، وأوقف التطهير العرقي الذي كان يُمارس ضدها بموجب اتفاقية دايتون، غير أن الشاعر عبدالله العسكر قال قبل أن يفرض ذلك القانون عدالته:

سرايِيفو الجريحةَ سامحينا

إذا قلنا لعَلكِ تَسْلَمينا

هو القانون أعورُ حين يهوَى

فيبصرُ جانبًا ويتيهُ حينا

وسجّل الشاعر نفسه في قصائده عتبه على النظام العالمي الجديد، في الأوقات التي تعامل فيها مع بعض الشعوب التي تتعرض للإبادة باعتبارها جمهورًا في حضرة الفن، أو الاقتصاد، دون أن يرى في أفراده بشرًا من لحم ودم، يستحقون الحياة، وخلودها وديمومتها، يقول:

نظامكمُ الجديدُ إذا يرانا

قطيعًا في المسارح أو زبونا

وبعيدًا عن الهيئات الدولية، خاطب الشعراء الضمير الإنساني، الضمير الذي يرفض إبادة العباد والبلاد، ويرفض العدوان والاحتلال وجرائم الحرب وسفك الدماء، للتدخل من أجل إنقاذ سراييفو وأهلها إلى جانب الضمير الإنساني من الموت المحتم، يقول الشاعر غازي القصيبي:

سرايیفو وداعًا

قبل أن تتساقطَ الجدران...

وتنهارَ السقوف..

ويَنفُقَ الأطفالُ.. والفئران

وداعًا..

قبلَ أن تتراقصَ النيران

على أشلاء حكمٍ كان

يُسمى رأفةَ الإنسانِ بالإنسان

إن ما تعرّضت له البوسنة من تطهير عرقي في سنوات الحرب، جعل دماء الشعراء تغلي، ووجه قريحتهم تجاه جلد الأنظمة والقوانين الدولية الجائرة وغير المنصفة.

ويُشرك الشاعر «عبد الناصر الجوهري» العولمة في ما يجري على أرض البوسنة، فهي رغم امتدادها الكوني، إلا أن لها حساباتها وتحالفاتها التي تنتصر للمعتدي، وتتخلى عمّن يتعرض للإبادة:

(فالعولمة تبدّل في البورصة أحلافًا

وتخومًا

وحروفًا

بخواء)

إن الباحث في قضية ربط الشعراء العرب، بين شعرهم المعنيِّ بقضية البوسنة، وبين ظاهرة العولمة، يدفعنا للتأكيد على أن هذه الظاهرة، صارت تدخل بغير استئذان إلى المجتمعات الضعيفة، وتفرض عليها نظامًا عالميًا جديدًا (قادرًا على النفاذ إلى منظومات القيم والمبادئ والتراث الثقافي فيها، ولأنه يملك قدرة النفاذ الصادم، فإنه يثير ارتجاجات واهتزازات صاعقة في الشكل والمضمون، مما يُضعف فرصة التفاعل والاستجابة الممثلة أو الجريئة)[1].

(١) د.سامي خصاونة، مؤتمر الاستشراق: حوار الثقافات، الجامعة الأردنية، عمّان، ٢٠٠٢، ص٨.

كما أن المجتمعات الفقيرة المحرومة (ومنها المجتمع البوسني في أثناء الحرب) مثّلت أحد المجالات الحيوية للعولمة، ذلك أنه كلما ضعفت المناعة الاقتصادية، ضؤل تأثير المناعة الثقافية لدى الشعوب، مما يجعل السقوط والانهيار تحت مطارق ضربات العولمة أكثر احتمالاً في ظل هذه الأحوال.

وحين يتم الربط بين العولمة والشعر العربي المتخصص في قضية البوسنة، يتأكد لمن يعيش في عصر الترجمة، وعصر الاتصال، وعصر المثاقفة، وعصر الانفتاح، وعصر ذوبان الحدود والسدود والجدران الفاصلة، إنه من المستحيل أن تستطيع قوة، بالغة مهما بلغت، من السطوة والتمكن الأيديولوجي أو الدنيوي، أن ترسم للظاهرة الإبداعية، قوالب مسبقة الصنع[1].

وللشعراء نظرة النسر إزاء ما يجري على الأرض، ومن هنا، نجدهم يُفجّرون عبر الشعر، وفي خضم قصائدهم المختصة بالبوسنة، قضية حوار الحضارات، باعتبارها العلاج لكل الحروب والمشاكل والهموم التي كانت تفتك بالبشرية في البوسنة وغيرها، يقول الشاعر عبدالله العسكر:

تعالَوا صافحوا جيلاً جديدا
يريد وقد أفاق بأن يكونا
وهاتوا بالحوار رشيدَ رأيٍ
يقارعُ غامضًا حتى يبينا
فإن الرأيَ ينضجُ بعدَ بحثٍ
كما أخصبتَ بالمحراث طينا

ويؤكد، ضمن توجهه الإنساني، أن حوار الحضارات فيما إذا تمّ، سيجعل من البشر شعبًا واحدًا، لا شعوبًا متقاتلة:

ولا يبني العقولَ سِوى حوارٍ
وشُورى تقتلُ الرأيَ الهجينا
ولا يبني الحضارةَ غيرُ شعبٍ
تساوى الناس فيه أجمعينا

---

(١) انظر: محمد صفوت قابل، العولمة الثقافية، مجلة المعرفة، وزارة التربية والتعليم، السعودية، العدد ١٢٩، يناير ٢٠٠٦، ص٩٢-٩٣. وانظر حول هذا الموضوع أيضًا: فخري صالح (تحرير)، المؤثرات الأجنبية في الشعر العربي المعاصر: الحلقة النقدية في مهرجان جرش الثالث عشر، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٥، ص٤٥.

وبذلك يؤكد الشاعر أن الحوار مع الآخر، مسألة حتمية، غير أنه لا يعني أن الحوار هنا، هو القصد إلى الاتفاق على كل شيء، وتوحد الأطراف المتخاصمة في تصور كل أمر، وإنما يعني التهيؤ الإرادي الواعي، لتفهم الرأي الآخر، والاعتراف بوجوده وقبول التعايش الشريف معه، كما أن الحوار الرصين يقوم على خصلة مثلى، هي الاعتراف بأنه لا أحد لا يملك الحقيقة على الإطلاق، ولا يستأثر بكل القيم على الإطلاق، إنه الإقرار بوجود الخصوصيات، والاعتراف بأن التنوع في أحوال الإنسان وارد، إنه في النهاية، اتفاق على أن يقبل كل طرف في الحوار مبدأ التعددية، لا يرجى من وراء الحوار الصحيح، أن يذوب طرف في آخر، وإنما يرجى منه، أن يذيب المفاهيم الخاطئة عنه، والأوهام والتشوهات الذاتية التي تحول دون حدوث التعاطف والتآخي والتصافي، وهذا لا يعني التنكر للقناعات الشخصية، وإنما يعني زيادة الوضوح في تمثلها، وإمكانية إخصابه بتجارب أخرى، فالنتيجة الأخلاقية، هي إنصاف كل جهة، للجهة الأخرى بما تقدمه حالا وماضيًا واستقبالاً، وفسح المجال لتبادل الاقتباس.

إن قصيدة هذا الشاعر، تؤكد أن خطابات الشعراء المهتمين بالتفاعلات الثقافية بين الحضارات، عمل من أجل الإرشاد إلى المجالات التي يتيسر فيها التعاطف والتعارف، وإلى الأعالي التي تترك لكل طرف جزئياته الحياتية، وخصوصياته المحلية، ويتيسر فيها التفاهم والتواد بشكل أفضل[1].

البوسنة والشعر القومي

إن توقف الشعراء مع القضية البوسنية من منطلقات إنسانية وأممية ودولية وعالمية، لم يحل بينهم وبين التفاعل معها من منطلقات قومية، آخذين بعين الاعتبار أن القومية تقوم على عنصر موضوعي، ويتمثل في مجموعة الروابط المشتركة التي تجعل من شعب معين

(١) الشعب: مصطلح سياسي اجتماعي يحمل معان عديدة، أهمها: (١) مجموعة من الأفراد التي يتألف منها جمهور ما (٢) مجموعة أفراد يقطنون في بقعة واحدة (٣) مجموعة أفراد يقطنون في مكان واحد وتربطهم روابط متينة كالأصول الواحدة، والعادات والتقاليد والمؤسسات المشتركة (٤) مجموعة أفراد لا يقطنون في بلد واحد، ولكنهم يشعرون أنهم، من خلال أصلهم الواحد، أو ديانتهم، أو أي رابط آخر، يشكلون شعبًا واحدًا (٥) مجموعة أفراد يؤلف مجموعها أمة تقع ضمن حدود جغرافية محددة، وتشملها قوانين عامة، ومؤسسات سياسية محددة. انظر: د.عبدالوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٣، ج٣، ص٤٧٩-٤٨٠.

أمة بالمدلول العلمي كالاشتراك في الأصل أو اللغة أو العقيدة، وعنصر معنوي شعوري، يتمثل في الحالة النفسية التي يولدها قيام تلك الروابط التي هي شعور الانتماء المتبادل والتعلق بالوحدة التي يكونها، ولذلك أدرك الشعراء أن الانتماء القومي في الأدب يتجلّى في التمسك بالموضوعات التي تهم كل أبناء الأمة الواحدة، والتحمس لها من حيث الدفاع عن القضايا الوطنية، والتمسك بقيم أفراد الأمة في مواجهة خطر ما[١].

وانطلاقًا من هذا المفهوم، فقد ارتبطت القومية العربية، بجملة الأصداء العالمية التي واكبت القضية البوسنية، بل إنها جعلت الشعراء العرب، يربطون بين البوسنة، وبين العرب والعروبة، متخذين من هذه الرابطة القومية، وسيلة للضغط على العرب من أجل إنقاذ البوسنيين مما كانوا يتعرضون له، يقول الشاعر عوض هاشم:

شبّ حريقٌ في البوسنة

يا عربًا..يا أهلَ الدار..

يا مليار

قطرةُ ماءٍ من واحدكم

تكفي كي تذوي النار

ويوازي هذا النداء الموجه من الشاعر إلى العرب، نداء آخر أشدّ قوة موجه من البوسنيين أنفسهم، جاء على لسان الشاعرة أمينة قطب، وتتضح منه تلك الرابطة القوية التي تعضد العلاقة بين البوسنيين والعرب، فهم من وجهة نظرها أهل:

أيــها الــعُــرْبُ، أيــها الأهـــلُ منا

أنــقــذوا أرضَ إخْـــوةٍ أحـــرارِ

البوسنة والشعر الديني

ويتضح من القصائد التي أبدعها الشعراء العرب حول القضية البوسنية، إدراكهم أن الإنسانية إحدى خصائص الإسلام الكبرى، وأن مبدأ الإخاء الإنساني، يُعتبر من أهم المبادئ التي قرَّرها الإسلامُ بناءً على أنّ البشرَ جميعاً أبناءُ رجُلٍ واحد، وامرأة واحدة،

(١) **الرابط:** www.ofouq.com/today/modules.php?name=News&file...sid

ضمَّتهم هذه البنوّةُ الواحدةُ المشتركة، والرحمُ الواصلة، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾.«سورة النساء: الآية ١» ولعل كلمة: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ)، وكلمة (مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) تلزمنا أن نفهم كلمة (الأَرْحَامَ) في هذه الآية على أنها الرحم الإنسانية العامة التي تسع البشر جميعاً، ولطالما أشارت الأحاديث النبوية إلى الأخوة بين عباد الله جميعاً، لا بين العرب وحدهم، ولا بين المسلمين وحدهم، بل هي أخوة بين بني البشر جميعاً، على اختلاف أجناسهم وأعراقهم وألوانهم وطبقاتهم ومللهم ونحلهم، وهذا الإخاء الإنساني في الإسلام حقيقة دينية، ويزداد توثقاً وتأكداً إذا أضيف إليه عنصر الإيمان، فالإخاء الديني المتفرع عن الإيمان والعقيدة المشتركة لا يضعف الإخاء العام، بل يشده ويقويه، فلا تناقض بين الإخاء البشري العام وبين الإخاء الديني الذي تشير إليه الآية الكريمة: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾، ومن ثمرات إنسانية الإسلام؛ مبدأ المساواة الإنسانية، الذي ينطلق من أن الإسلام يحترم الإنسان ويكرمه من حيث هو إنسان، لا من أي حيثية أخرى، قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ «سورة الحجرات: الآية ١٣»[١]

ويتبيّن من مجمل القصائد المختصة بالبوسنة في الشعر العربي، متانة الرابط الديني والعَقَدي بين البوسنيين وأشقائهم في العالم الإسلامي، حتى إنه كان المحرّك الأساس للشعراء ودافعهم القوي للتعبير عن ردة فعلهم إزاء ما تتعرض له البوسنة، فهي من وجهة نظر الشاعر إبراهيم السامرائي لها قداسة توازي مكة والمدينة، وما فيهما من أماكن مقدّسة يحج إليها المسلمون، مُذكرا بأن الإسلام يدعو إلى السلام، وأن شعائره تدعو للوحدة، لا إلى الحرب، يقول:

إنـــي مِـــن «الإســـــلام» أنـتــهــجُ الــسـبـيـلَ إلــى الــســلامْ

وشـــعـــائـــري جـــمـــعُ ولا قـــصـــرٌ تـــقـــود إلـــى الـــوئـــام

---

(١) انظر: محمد راتب النابلسي، موسوعة النابلسي الإسلامية، الموقع: www.nabulsi.com/denmark

هـــي فـــي ربـــوعٍ كـــنّ لـــي مـــن بـعـض زمـــزمَ والمـقـام

أسـعـى إلـــى الأرض الـطـهـور عـشًـا بـهـا ظُـلـم الأنـام

هـــي كــل أرض ٍ لــم يـكـنْ لـلـحـقّ فـيـهـا مـــن ذِمـــام

وجـعـلـتُـهـا حـجًّـا عـلـى بُـعـدٍ مـن «الـبـلـد الحـــرام»

لقد اتخذ الشعراء من الدين سببًا لجعل أراضي البوسنة جزءًا من العالم الإسلامي، ولذلك، فهم يطالبون باسترجاعها، وباسترجا ع ذكريات المسلمين وتجلّياتهم التي خلّدوها على أرضها، يقول الشاعر طاهر العتباني:

هذه الأرض كانت لنا

ولنا سهلُها والجبلْ

هذه الأرضُ كانت لنا

وعلى وجهها سافرَ الفاتحون..،

ففي كل شبرٍ بطلْ

نحن كنا زرعنا على وجنتيها الأملْ

نحن كنا لها شوقها المتصل

وانطلاقًا من هذا الوازع الديني، ذكّر الشعراء في قصائدهم، بما تتعرض له بعض أقطار العالم الإسلامي من حروب دامية، وربطوا بين البوسنة، وبينها، لاشتراكها مع تلك الأقطار في الوقائع، وفي الصرخات، يقول الشاعر عبدالعزيز العزاز:

أمـا يـنـادي بـنـو الـبـلـقـان فـي وهـجٍ

من اللّظى حين ذاقوا العسفَ والهونا؟

أمـا اشـتـكـت دارةُ الـشـيـشـان غـائـلَـهـا

ونـحـن مـن بـعـدهـا بـتـنـا مـغـنِّـيـنـا

أمـا شـكـا إخـوةُ الـصُّـومـال بـؤسـهُـمُ

فـالـفـقـرُ يـهـلـكُـهـمْ والمـــالُ يطغينا

أما سمعنا منادِي الشَّرق مُنتحبًا

يقول: يا قومُ من يُنْجِي الفلبينا

أليستِ القدسُ قد أنَّتْ مدوَّيَةً

أشمُّ ذو هممٍ يفدي فلسطينا؟

أما الشاعر محمد مهدي الجواهري فيقول:

أنا جئت يا بن العمِّ تثقلني جراحُ الرافدينْ

وجراحُ أهلي من سرايفو لأولى القبلتين

وكثيرًا ما ربط الشعراء بين البوسنة، وبين بعض أقطار العالم التي فتحها المسلمون ثم أعيد احتلالها، وخاصة فلسطين، والأندلس ومدنها: غرناطة وإشبيلية وكاديز والمرسية، يتبدى ذلك في قول الشاعر «غازي القصيبي»:

ألا يا أختَ أندلسٍ

ليرحمَ عهدَكِ الرحمن

وقول الشاعر حسن الأمراني:

(تلك غرناطةٌ أم تلك سراييفو الشهيدة).

ويضيف الشاعر سعد عطية الغامدي:

لك اللهُ يا أختَ إشبيليَةْ

وتوأمَ كاديزَ والمَرْسِيَهْ

حضارتُنا..شادها الأولونَ

وأرسَوْا مناراتَها عاليه

وضيَّعها صبيةٌ مترفونَ

تديرهم الكأسُ والجاريه

فعادت مساجدُها بِيَعًا

وآثارها..دمَنًا خاويه

ويقول الشاعر فيصل الحجي:

آهِ يـا أخـتَ فلسطينَ الـتـي

غُـرزتْ فيها نُيوبُ الصَّهْيَنَهْ

تكشف الـويـلاتُ عـن أنيابها

كـلـما هـبّـت ريـاحُ الـبَـلْقنَـه

لقد وظّف الشعراء العرب البوسنة توظيفًا تاريخيًا ودينيّاً، وأبرزوا تعلقهم الروحاني النبيل بها، إلى جانب تباهيهم وافتخارهم بأرضها وشعبها، باعتبارها خصوصية إنسانية، وحالة قومية، ولم يخلُ شعرهم من إدانة الحاضر العربي، وإظهار التوجع من الواقع، في أثناء عرضهم الشعري للوقائع اليومية للحرب التي شهدتها، وغدت البوسنة في شعرهم متكأ للتعبير عن الهموم، ووسيلة لتقديم الرؤية والوعي بالحالة البوسنية بخاصة، والمناطق المحيطة بها بعامة، وكان منطلقهم في ذلك النظرة الإنسانية الحزينة، التي خيّمت على قصائدهم المضمّخة بالموقف الديني المقدّس المحدد الدلالة والمعنى، والرافض للأفكار المادية التي تدفع المعتدي للمضي في جرائمه دونما رادع ديني أو دنيوي.

لقد أسقط الشعراء الذين كتبوا عن البوسنة مقولة أن الذي يكتوي بالنار ليس كمن يراقبها عن بُعد، إذ تدلّ قصائدهم أنهم رغم بعدهم المكاني عن أرض المعركة، استطاعوا أن يُعبِّروا بصدق عن مدى الألم الذي يشعرون به وكأنهم في ساحة القتال، يُشاركون أهل البوسنة مأساتهم، ويتعرّضون مثلهم للقصف والعذاب، ولقد عبّر الشاعر «محمد فريد عبد الخالق»، عن هذا المعنى، حين قال في مطلع قصيدته أنه عاش بين أهل البوسنة، ثم استدرك أن حياته بينهم كانت في الحلم، وفي المشاعر والأحاسيس والنبضات الجوّانية:

كنتُ في البوسنةِ والهرسك أحيا

محنةَ الإسلام في عصرٍ تَعرَّى

كلّ يومٍ عبْرَ أحلامي أراهمْ

ويروني..قد أقمنا الحبّ جسرا

نبضُهمْ في النكبةِ الليلاء نبضي

لم أفتهمْ لحظةً في الكَرْبِ شبرا

البوسنة والشعر الوطني

لقد ألهمت الطبيعة البوسنية التي تتنفس ماءً وخضرةً وجمالاً وجاذبيةً وسحرًا، ألهمت الشعراء العرب أحلى الكلام وأعذبه، ورفعت الغبار والرماد عن حروفهم، وهي تُطل على أجمل وأروع ما خلّده البوسنيون.

لقد صعدت ذكريات الأرض البوسنية إلى وجدان الشعراء، فشكّلت منارة هام بصرهم بها، وهم يتأملونها، وكلما كانوا يكتشفون المزيد من روائعها اللامتناهية، كلما كان يتضاعف الإعجاب والحب في قلبهم لها،

يقول الشاعر أيمن الركراكي:

كـــانـــت ســرايـــيـــفـــو فـــاتـــنـــةً

لا تمـــهـــلُ قـــلـــبَ الـــنُّـــظّـــارِ

كـــانـــت تـــتـــمـــلَّـــكُ نـــاظـــرَهـــا

بـــغـــلالـــةِ حُـــســـنٍ ســـحَّـــار

وفي أحلك الأوقات وأشدها قسوة على البوسنة، كان الشعراء العرب، يستشرفون مستقبلها الزاهر، ويتنبأون لها بالنهوض وبتجدد الحياة وخصبها، يقول الشاعر حمودة زلوم:

لكن في يوم جدُّ قريب

تنهض ثانية

تبني..ترفع..تزرع..

ليعود الأمسُ

والبسمةُ تعلو وجه سراييفو

لتعودَ – كما كانت – نبعًا للنور

ودارًا للألفة والإيلاف

لقد بدت البوسنة في قصائد الشعراء العرب، قبل الحرب، متحفًا ثقافيًا متنوعًا، انصهرت فيه الحضارات والثقافات العالمية، كما أنها حفرت لنفسها عبر التاريخ مكانة

لائقة في الذاكرة والوجدان، وأنها تحتفظ بالشواهد الخارقة التي تعبر بدقة عن روح شعبها العريق وقوة عزيمته، ومسيرته عبر الزمن، وأنها بلد الشعب اليقظ، الذي يمتلك إرادة بلا حدود، حتى غدا عنوان النهضة الحديثة، يقول الشاعر أحمد باعطب:

قالت سرايـيفو أبـي بـالأمس كـانْ

ذا صولـةٍ فـي العالـمِينِ وصولجـانْ

وفِـدتْ إليـه الشُّـهبُ تـهتف بـاسمـهِ

تُـزجـي الـولاءَ لـه وتُـسلِمُـه العِنـان

ووصف الشعراء العرب ما تعرّضت له البوسنة والهرسك، أرضًا وشعبًا ومقدسات وممتلكات وحضارة، من ضربات، نفّذتها آلة الحرب العسكرية التدميرية المعادية، وتوقفوا عند اغتصاب النساء، وتشويه الجثث، والفتك بالشيوخ والأطفال، وما تعرّض له الأسرى والجرحى واللاجئين من بطش، وما تعرّض له الشعب بأكمله من انتهاكات طالت الإنسان والحيوان والنبات، وتحوّلت قصائد بعضهم إلى تقرير شعري يسرد وقائع الحرب، وما نجم عنها من جرائم وخسائر في الأرواح والأجساد، وفي الأرض والعرض والممتلكات، واستحالت القصائد نفسها إلى وسيلة للتعبير عن حزن الشعراء وألمهم، إثر اطلاعهم عبر الفضائيات على المجازر البشعة التي كانت تُرتكب يوميًا هناك، يقول الشاعر «محمد فريد عبد الخالق»:

اي وربِّـي، لـم يـجـدْ أطـفـالُـنـا الـقُـو

تَ، ولا المـقـتـول فـي الـشـارع قـبـرا

الحصارُ الصَّعبُ، والجـوعُ، وروْعُ الْـ

خـوفِ.. طمّتْ كلُّها شـهرًا فشهرا

لـم نـعـدْ نـسمـعُ إلا شـهـقـةَ الحـو

تِ وتـرجـيـعَ رصـاصٍ مـسـتـمـرا

واسـتـغـاثـاتِ عـذارى، وصـراخًـا

نـدَّ مـن شـيـخٍ، وأطـفـالٍ، وأسـرى

وتُبرز قصائد الشعراء، عدا عن وصف معاناة البوسنيين، الناجمة عن القصف العنيف، والمذابح التي أهلكت الحرث والنسل وأودت بحياة كثيرين بين قتل وأسر، وعدا

عن وصف حالة الأمة العاجزة المستسلمة والتي ترفض النخوة أو الفزعة أو النجدة، تُبرز تلك القصائد صرخات الاستغاثة والتحريض التي كانت تأتي على ألسنة البوسنيين، يقول الشاعر نزار أبو الفدا:

نناديكمْ وقد كثُرَ النحيبُ

نناديكم ولكنْ مَن يُجيبُ

ويقول الشاعر سعد عطية الغامدي:

تعانينَ وحدَكِ - يا ويحنا

وتلقينَ أسرابَهم عاريهْ

وتستنجدينَ صباحَ مساءَ

وآذاننا - وَقِرَتْ - واعيه

ونبصرُ قصفَهُمُ جائرًا

يذيبُكَ ناحيةً.. ناحيه

وتتصدر قصائد بعض الشعراء الدعوات إلى الجهاد والمقاومة ضد الذين عاثوا في البوسنة والهرسك فسادًا دون أن يردعهم رادع، وامتزج شعرهم هذا بالعتاب لإهمال أمر الدفاع عن الأشقاء هناك، وللمضي في الضعف واليأس والقنوط، كانت قصائد بعض الشعراء تُصور الحالة النفسية للعالمين العربي والإسلامي، وكان تحريضهم ممزوجًا بالتحذير من المستقبل، إذ إن الجميع في خانة الاستهداف وتحت طائلة العدوان، يقول الشاعر أحمد الظرافي:

أليس رقودُكم ذلاً وعجزاً

وأنتم كلُّكُمْ مُستهدَفونا

لقد استحالت معظم القصائد التي قيلت في البوسنة، إلى أدوات لجلد الذات المتخاذلة والمستسلمة، وكان ذلك الجَلْد الشعري يتنامى دائماً في أوقات الهزائم والإحباطات، وفي الأوقات التي يُهمّش فيها العالم الحرّ قواه، أو عندما يمنح تلك القوة للمعتدين، كي يُصعّدوا من عدوانهم، وهنا كان الشعر يتقوقع وينحسر داخل بوتقة الانهزام، معبرًا عن حالة فقدان الأمل، يقول الشاعر عبدالعزيز جويدة:

يا أيّها المدن التي

خلعت جميع بيوتها

واستبدلتها أضرحه

اليد لا تمتد من قرب ولا بعد

ليست هنالك مصلحه

والمسلمون تفرّقوا

باعوا سيوفهم،

اكتفوا..

أن يقرأوا

للراحلين الفاتحه

ورغم حالة الضعف والهوان التي كانت تسود العالم إبان العدوان على البوسنة، أبرز الشعراء العرب الدور الوطني للبوسنيين، في الصمود من جهة، وفي التصدي للأعداء من جهة ثانية، وأشادوا بهم وهم يقفون وحدهم في الميدان، ونوّهوا لدور المرأة البوسنية، والطفل البوسني، في الصبر والصمود، وتحمل نتائج المآسي التي وقعت، يقول الشاعر رفعت المرصفي على لسان البوسنة:

أنا لن أبادْ

مهما قتلتم أو حرقتمْ

أو حصدتم في البلادْ

إن الدعوات التي وجهها الشعراء لأهل البوسنة كي يصبروا على الابتلاءات التي كانوا يتعرّضون لها، كانت دائمًا مقرونة بالإشادة بقواهم الذاتية وفي الإشادة بدورهم في الدفاع عن ثراهم الطهور، ويقول الشاعر عدنان النحوي:

لله درُّ «سرايفو» إذا وثبتْ ... تَواثَبَت دُوَلُ الآفاق والبشر

وكلّما خيّمَ الليلُ البهيمُ بها ... زَهَت وأشرَقَ من جولاتها العِبَر

وهكذا يتحوّل وصف الضعف والإحباط، والوصول إلى مرحلة اليأس والقنوط، إلى صوتٍ لا يخلو من رفع المعنويات، فيما إذا نظر المرء إلى ما يكتنزه البوسنيون من قوة، يُظهرونها كلما أتيحت لهم الفرصة، فيداوون جراحهم وحدهم، ويُحققون الانبعاث من جديد، وعن ذلك يقول الشاعر نفسه في قصيدة ثانية:

أنـا «سـرايـيـفُ» لا تـعـجـبْ هـنـا قـمـمُ

عُــلاً يَــرفُّ ومـجـدُ لـيـس يـنـدثـرُ

أنـا«بـهـاتـش» و«مُـسـتـار» غـيـرُهـمـا

مـن كـل نـاحـيـةٍ يـأتـي لـك الـخـبـر

هنا الأشـاوسُ إن جدّ الوغى التحمتْ

هـذي الـنـصـالُ فطـار الـوقـدُ والـشـررُ

ورُجّـت الأرضُ! جُـنّـت مـن ملاحمِها

لَـلّـه يـدفـعـهـا الإيمــان والـقـدر

ويتضح من الأبيات المذكورة أعلاه، ومن غيرها تعلّق الشعراء بالمدن البوسنية، والإكثار من ذكرها، إلى جانب غيرها من العناصر الطبيعية والبيئية هناك، باعتبارها الشاهدة على ما كان يجري، سواء على صعيد التضحيات، أو التعرّض لجرائم الحرب، يقول الشاعر عبدالناصر الجوهري:

من سيشكك في محرقتي؟!

وجماجمنا في(سربينتسا)

لا تنسى (دافا) نهر الفاجعة

ولشهداء البوسنة، مكانة خاصة، ولهم فضل عظيم لم يألُ الشعراء جهدًا عن ذكره، فدماؤهم الزكية هي التي زيّنت السماء قبل الأرض التي كانت في طريقها إلى الاستقلال، يقول الشاعر «فيصل الحجي» عن قبر الجندي المجهول:

إن جَـهـلـتِ الـقـبـرَ يـا أمــي ازرعــي

بـالـيـدِ الـبـيـضـاءِ أحـلـى سَـوسَـنـهْ

كــي تَـشُـمِّـيـهـا إذا اشـتـقـتِ لمـن

ضـمَّـهُ حِـجـرُ الـهـدى واحـتـضَـنَـهْ

وحين توقّفت الحرب التدميرية عن البوسنة والهرسك إثر اتفاقية دايتون للسلام الموقعة في باريس رسميًا بتاريخ ١٩٩٥/١٢/١٤، عبّر الشعراء العرب عن ابتهاج العالمين الإسلامي والعربي بذلك، وأبرزوا نضالات شعبها ومواقفه الصلبة عبر التاريخ، متمنين أن تكون هذه الاتفاقية، سببًا يجعل البوسنيين يهنأون باستقلالهم الذي تحقق عام ١٩٩٢، يقول الشاعر سالم أحمد:

«مُـسـتــار» كـانـت يــوم الاسـتـقـلالْ

تـزهــو عـلـى هـــام الـــدُّنـــا بـــدلالْ

ويمضي الشاعر في استرجاع دور الآباء والأجداد ليس في امتصاص نتائج الحروب التي تعرّضت لها فحسب، بل في مواصلة الدفاع عنها، وإعادة بناء وتشييد ما تمّ تدميره، فانطلقوا من مكانتها الغالية في نفوسهم، للدفاع عنها لتحافظ على عزّتها ومنعتها:

«مُستـار» تحـيـا فـي الـقـلـوب عـزيـزةً

تـسـمـو مــوفّـقـةَ الـخُــطـى بـجـلالِ

دارُ الأبـــاةِ ومَــــنْ تـسـامـوا لـلـعـلا

مَــن جــــدّدوا الـعــزمـاتِ بـالأفـعـال

مَن أبدعوا مَن أحسنوا مَن أسرعوا

لــلـــذودِ عـــن وطـــنٍ عـــزيـــزٍ غـال

إن إعادة الشاعر الفضل لأهله، وتركيزه على الدور التاريخي والنضالي للشعب البوسني، لم يكن لينسيه الدور الرسمي في هذه المسألة، والمتمثل في القيادة البوسنية التي تعمل على تأمين السلام والطمأنينة والأمن والأمان، بل والتي تحافظ على هذا الاستقلال، رغم ما تعرّض له من رفضٍ من بعض القوى الدولية المعنية باستمرار شلال

الدم في تلك المنطقة حتى إبادة شعبها ومعتقداته ومن ثم السيطرة على أرضها وثرواتها، يقول الشاعر عن البوسنة وعن عضو مجلس الرئاسة البوسنية «الحارث سلايجيتش»:

وطـنُ الـرجـالِ المـلـهـمـينَ يـقـودهـم
«الحـارثُ» الـفـذُّ الحـلـيـمُ الـغـالـي
قـاد الـبـلادَ بـحـكـمـةٍ ورويـةٍ
وسـدادِ رأيٍ زانَـهُ بـوِصـال
الـتـهـنـئـاتُ أزفُّـهـا فـي فـرحـةٍ
لـلـحـارث المـغـوارِ لـلـرِّئـبـال
مـن حـقّـقَ الآمـالَ فـانـصـاعـتْ لـهُ
كـلُّ الـصـعـابِ تـنـاثـرتْ كـلآلـي

ولعضو الرئاسة البوسنية أيضًا منزلة أخرى عند شعراء العربية، فهم لا يكتفون بمدحه، والثناء على بعض الصفات التي يتحلى بها وخاصة الصدق والوفاء والكرم وإغاثة الملهوف على الصعيدين الفردي والشعبي، في الوقت الذي يبني ويُشيّد فيه البلاد على الصعيد الوطني العام، ويفِعل ما يسمو به ويرفع من مكانته ومنزلته التي هو أهل لها، بل إنهم يرون فيه الشخصية القيادية التي ستحافظ على الإنجازات التي تحققت بتضحيات وبدماء الشعب البوسني، تقول الشاعرة مها بنت محمد:

«حـارث سـلايـجـيـش» الـذي
بِـهَـدِي الـرسـالـةِ يـهـتـدي
يـبـنـي فـيـرتـفـعُ الـبـنـا
ءُ مِـثْـلَ عـزِّ الـسُّـؤدَد
فـاضـتْ سـحـائـبُ مُـزنِـهِ
فـسَـقـتْ بـوابِـلـهـا الـصَّـدِي

جاءت هذه المواصفات كلها، بعد أن هنّأت الشاعرة البوسنة بمناسبة استقلالها، ووصفت الفرحة العارمة التي تعيشها الأرض والسماء، إلى جانب الإنسان وحتى الحيوان والنبات نتيجة لذلك:

حـين اسـتـقـلَّـت أيـنـعـتْ
وصَـفَـتْ مـيـاهُ المـوردِ

«مـــســـتـــارُ» غـــازلَـــهـــا الـبـهـا
ءُ بـــفـــرحـــةٍ وتـــــودُّد
والـــطـــيـــرُ مـــن فـــــرحٍ يـغـرْ
رِدُ فـــي الـــفـضـــاءِ ويَـغْـتـدي
والـــزهـــرُ أثـــمـــلَـــهُ الجَـــوى
فـــيـــرفُّ رفَّ تـــــأوُّد

بل إن أحد الشعراء العرب «ماجد عبيد»، ربط بين الانتصار الذي حققته البوسنة بهذا الاستقلال، وبين ما شهدته بلد المليون شهيد «الجزائر» حتى وصلت إلى النتيجة نفسها، مساويًا بين النصرين والاستقلالين:

نـــالـــتْ ســرايــيــفــو الـــمُـنـى
والـــنـــصـــرُ كـــان مـآلـــهـا
مِـــثـــل الجـــزائـــرِ مـوطـنـي
بـــالـــصَّـــبـــرِ هــــلَّ هـــلالُـــهـا
وتحـــقَّـــقـــتْ آمـــالُـــهـــا
لـــمّـــا سَـــمـــا اســتـقـلالـهـا

وفي قصائد أخرى تمجيد للقيادي الراحل «علي عزت بيجوفيتش» الذي تولّى رئاسة البوسنة والهرسك بتاريخ ١٩/١١/١٩٩٠م، والمتوفى بتاريخ ١٩/١٠/٢٠٠٣م، وإشارة لما كابده إلى جانب شعبه ووطنه، وتذكير إلى أن إنجازاته جعلت الشعراء يربطون بينه وبين «محمد الفاتح»، يقول الشاعر عوض هاشم:

عذرًا..يا «علي عزت»..ليس معي «جيش»
صَفْحًا يا «بيجوفيتش:..
يا وطنًا مسفوح الإنسان...
صبرًا..يا نسلَ «الفاتح».

****

ثانيًا: ومضات موضوعية وجمالية

الرافد التراثي

تكتنز القصائد العربية المتخصصة بقضية البوسنة بعدد كبير من الكلمات ذات الدلالات الدينية والتاريخية والأدبية المستقاة من الرافد التراثي، ولم يكن إيراد الشعراء لها مقصوداً، بل كان من وحي الخاطر، استجابة للواقع الذي يتحدثون عنه، وانتقاء مما استقر في ذواتهم من جوانب ثقافية أغنتها تجربتهم الشعرية ومطالعاتهم الأدبية، وكان المنهل الأول الذي تبدّى في الكثير من قصائدهم هو القرآن الكريم، فهذا الشاعر صابر عبد الدايم يقتطف من القرآن الكريم ما يُذكِّرنا بقوله تعالى ﴿**وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً * فَالْمغِيرَاتِ صُبْحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً**﴾ «سورة العاديات» الآيات (١ – ٥)، ولعلّ في هذا الآيات أجمل صور القرآن الكريم، فالعاديات هنا هي الخيل، التي تقدح بحوافرها الحجارة حتى تظهر النار، وتُصابح القوم بغارة وهي تثير بحوافرها الغبار، يقول الشاعر:

(وتعود تصهل في «سراييفو» المآذن تلتقي..
بالعاديات ضبحا
والموريات قدحا
وتثير نقع الفتح..تشهد ضوء خيل الله صبحا).

وفي موقع آخر، يُذكِّرنا الشاعر نفسه بما أورده القرآن الكريم، حول مخاض السيّدة مريم عليها السلام بالسيد المسيح وبلحظة ولادته، وتحديدًا بقوله تعالى: ﴿**فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً * فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسياً منسياّ* فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربّك تحتك سّريّا**﴾ «سورة مريم» الآيات (٢٢ – ٢٤)، يقول الشاعر:

حين مخاضها.. مطرُ الحياةِ يهلُّ يصرخ

...والوليد بحجم هذا الكون

يحمل في اليمين شموسَ توحيدٍ وميلادَ العقيده

وعلى اليسار تصوغُ أقمار الوجود...

وتولد الدنيا الجديده)

وثمة شواهد ودلالات أوردها الشعراء من الديانة المسيحية، وهذا الشاعر عبدالله شرف، يُذكّرنا بما ورد في الكتاب المقدس(المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة) عبر قوله:

(أنين أطفالٍ، ودعة طائر

وجناح ضوء، والذئاب على المدى..

فعلى سرايیفو السلام..وبالصليب مسرة

والموت للضوء المعطر.. والنهار)

وثمة تذكير بأبيات شعرية عربية حديثة، إذ تذكرنا قصيدة الشاعر محمد القرني التي قال فيها:

أُمَّـــتِــــي هــــل لــــكِ مــــن مُــسْــتَـنَــدٍ

فــلَــكــمْ ذقـــتِ الأســـى والـــنَّــدمــا

أُمَّـــتـــي هـــل لـــكِ مـــن مـعـتـصـمٍ

فـلَـكـم نـــاديـــتِ.. وا مـعـتـصـمـا

يُذكرنا بقول الشاعر عمر أبوريشة:

أُمَّـــتـــي هـــل لـــكِ بـــين الأممِ...

مـــنـــبـــرٌ لـــلـــســـيـــف أو لـــلـــقـــلَـــمِ؟

ويذكرنا بقوله فيها أيضًا:

رُبَّ وا مـعـتـصـمـاهُ انـطـلـقـتْ

مـــلءَ أفــــواهِ الـصـبـايـا الـيُـتُـم

لامــســت أســمــاعَــهــم لـكـنـهـا

لــم تــلامــسْ نــخــوةَ المـعـتـصـمِ

ويعيدنا الشاعر غازي القصيبي عبر قصيدته التي يقول فيها:

ولكن.. هكذا الدنيا..

قديمًا سرَّنا زمن

وها قد ساءتِ الأزمان

يعيدنا لأجواء قصيدة الشاعر أبوالبقاء الرندي التي قال فيها:

هــي الأمـــورُ كـمـا شـاهـدتـهـا دولٌ

مــن ســرّهُ زمــنٌ ســاءتْــهُ أزمــانُ

علمًا بأن التذكير بالمعتصم والاستنجاد به قد تكرر في هذا الشعر، إلى جانب استرجاع عدد من الشخصيات التي كانت لها صفحات بيضاء في التاريخ العربي، وتحققت على يديها الانتصارات، ومنها في هذه الأبيات التي أبدعها الشاعر عبدالجواد طايل (خالد بن الوليد، عمر بن الخطاب، أسامة بن زيد، سعد بن أبي وقاص):

والـيـومَ مـاذا جـرى؟من سـوفَ يدركُنا

ولــم يـعـدْ «خــالـدٌ» فـيـنـا ولا «عـمـرُ»

ولا «ابــنُ زيــدٍ» ولا «سـعـدٌ» ولا رجـلٌ

يـنـدى جـبـيـنًـا.. غـيـورٌ.. سـاقـه الـقـدر

كما أن تركيز الشعراء على تجدد الحياة واستمرارية النضال لدى رافضي الاحتلال، كان يجعلهم يلتقون مع بعض الآيات القرآنية في أكثر من موقع، ففي قول الشاعر صابر عبدالدايم:

(وإلى رُبا الفردوس..كل قوافل الشهداء

كالأشجار تصعد)

تذكرنا بقوله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون).

وعدًا عن القرآن الكريم، فثمةَ إيراد مباشر لكلمات النبي (ص) في قصيدة الشاعر صابر عبد الدايم: «أنا النبي لا كذب..أنا ابن عبد المطلب» التي كان قد ردّدها في «يوم حُنين» حين كان الفرار من المعركة، وقد وقف صلى الله عليه وسلم ثابتاً بين هزيج الأعداء وقوتهم وهو يردد بينهم تلك الكلمات.

الصورة الشعرية

لم تعد الصورة الشعرية في العصر الحديث ضربًا من الزخارف والمحسنات، كما أن النقاد لم يعودوا يتعاملون معها على أنها مجرد علاقات جديدة تفرضها الحاجة إلى التعبير عن رؤية جديدة، فهي عمل فني يشير إلى عظمة الخيال المبدع الذي يبعثها من الذاكرة، وإلى العاطفة السائدة التي تلونها، كما أنها لم تعد نسخاً للواقع، بل تتجاوزه لما يُعرف بالصور المعنوية، ومنها الصورة الذهنية التي تعني بقاء أثر الإحساس في النفس بعد زوال المؤثر الخارجي.

وقد حفلت الأعمال الشعرية التي أبدعها الشعراء العرب حول البوسنة بكم هائل من الصور التي تعكس مقدرة مبدعيها على إنجاب الصورة الشعرية المتحركة، وهي الصنف الأرقى من بين أصناف الصور كقول الشاعر عدنان النحوي:

وأيـــن روائـــــعُ الـتــاريــخ تجـري

مُــحــمــلــةً بـــــأشــــواقِ المــعــالــي

وثمَّةَ صور تجمع بين الشعر وبين اللوحات التشكيلية ببعديها المادي والمعنوي، كقول الشاعر عدنان النحوي:

لآلــئُ فــي الـسـفـوحِ وفــي الجـبـالِ

وطــيــفـكِ مــن جـمــالــك والجـــلالِ

عـلـى ربــواتِـك الـشـهـداءُ جــادوا

فـكــانــوا كــالجــواهــرِ والــلآلــي

والملاحظ على مُجمل القصائد العربية المتخصصة بالبوسنة والهرسك، اتخاذها من الصورة الشعرية وسيلة لنقل تجارب مبدعيها، مع مراعاة اشتمالها – على الصعيد الحسّي – على أفكار وعواطف توضح مدى التزامهم الوطني، ووهجهم التعبويّ، وتألقهم الحماسيّ، دون أن تبدو جميعها على شكل براهين أو حجج عقلية، تنزلق بها إلى مستوى التجريد، يقول الشاعر محمد سعيد فخرو:

سراييفو

يا نخلةَ عشقٍ من نورٍ

زرعَتْها – أمسِ –

يدُ الأجداد

من أجلكِ – سيدتي –

أتوسّد شوكَ الحبِّ

وأفترشُ السكين

وألتحف الدنيا

نارًا..ورماد

فهنا يُشبّه الشاعر سراييفو بالنخلة، التي ترمز لشموخ العروبة وكبريائها، ويُبرز أهم مواصفاتها، فهي من نور، في إشارة لمكانتها الدينية الإسلامية، ويُسقط ماضيها على حاضرها، فيّذكّر بفتح الأجداد لها، ويوضّح علاقتها بنفسه، ويرى أنها تستحق التضحية، بدليل إشارته عبر فن الشعر إلى أن حبّه لها، يجعله يتخذ من شوك الحب وسادة، ومن السكين فِراشًا، ومن الدنيا لحافًا، وهذا اللحاف من نار ورماد، وبذلك التأم شمل التجربة الشعرية، ووصلتنا أفكار الشاعر وعواطفه الصادقة والمُصاغة بأبهى وأسمى ما في الشعر من جمال، دون أن تتضمن أية براهين عقلية.

وكثيرًا ما استطاع الشعراء إحداث ربط بين التشابه الناجم عن الصورة، بالشعور الوطني المسيطر على الشاعر لحظة نقل تجربته للمتلقّين، يقول الشاعر محمد بن ظافر الشهري:

مـصـائـبُـنـا تـتـرى فـكـلُّ مـصـيـبـةٍ

عـلـى نـائـبـاتِ الـدهـرِ مـن قبلها تعلو

فالشاعر يتحدث عن قومه بصيغة الجمْع، ويُشير إلى المصائب التي يُعانون منها، وهي أيضًا مصائب تجاوزت المفرد إلى الجمْع، ويسترجع التاريخ، فلا يرى فيه معاناة تضاهي المعاناة التي يعيشونها، وبذلك نقل شعوره وشعور قومه للمتلقين بصورة تُبرز المصائب وهي تتداعى وتتلاحق عليهم، آخذة بعين الاعتبار، ألا تُشبه ما سبقها من مصائب حصلت في مراحل زمنية سابقة، وبذلك فإن هذه المعاناة المركبة، التي تسيطر على النفس الإنسانية في ماضيها وحاضرها، هي أجلّ ما عبّر عنه الشاعر، وأسمى ما أراد الوصول إليه.

ويلاحظ في الشعر العربي المتخصص بالبوسنة أيضًا، أن كل صورة فيه كانت تؤدي وظيفتها داخل التجربة الشعرية باعتبارها الصورة الكلية، وتساير الشعور العام، وتشارك في الحركة العامة للقصيدة حتى تبلغ الذروة في النماء وتصل إلى وحدتها العضوية، وذلك دون أن تضطرب الصورة أو تتنافر أجزاؤها، أو تتعقّد أو يمسسها غموض والتواء، يتضح ذلك، في قصيدة الشاعر محمد بن عائض القرني، التي بدأها بقوله:

جـــرِّدِ الــسـيـفَ وألْـــقِ الـقـلـمَـا

هـــذه الـبـسـنـةُ تـنـثـالُ دمَـــا

وانتهت بقوله:

إن طـغـى الـسَّـيـلُ عـلـى أمـتِـنـا

فـسـنـبـقـى لـلـمـعـالـي قِـمـمـا

وإذا احْـــلـــولَـــكَ لـــيـــلٌ فـلـنـا

قـبـسُ الـوحـي يـبـيـدُ الـظُّـلـمـا

لقد تحققت الوحدة العضوية في القصيدة، والتقى مضمون البيت الأول فيها مع مضمون البيت الأخير، بعد أن أحال الشاعر البوسنة في مطلع القصيدة إلى كائن حي

تنزف منه الدماء التي سالت من أجساد البوسنيين، الأمر الذي جعله يوجه نداء عاجلاً للأمة كي تُعد ما لديها من قوّة فعلية، بعيدًا عن أي كلام، لنجدتها، وفي الخاتمة، يُطمئن الشاعر البوسنة، والأمة بأكملها، أنها ستبقى قممًا للمعالي، وأن الظلام إذا ما حلّ بأمته، فإن لديها دينًا يُحيل الظلام إلى نور وضياء، فالصور الشعرية هنا لا غموض فيها ولا التواء ولا حتى رمزية، وأجزاؤها تتابع بوحدة تُحقق نماء القصيدة واكتمالها دون أي اضطراب أو تنافر.

كما اتسمت صور الشعراء التي عالجت قضية البوسنة، بأنها تعبيرية إيحائية، لأنها كانت تُعبّر عن مضمونها بالصفات المرادة قبل التصريح بها، وكانت الحالة النفسية للشاعر تتبدّى من وراء الصور الإيحائية غير المباشرة، يتضح ذلك في قول الشاعرة نبيلة الخطيب عن قتل النساء البوسنيات:

حَنَّى ضفائرَها الدمُ المسفوحُ

والحزنُ يَخفى تارة ويبوحُ

بوسنيَّةٌ هتفت تُلبي ربَّها

والوجهُ من طُهرِ الوضوء صَبوح

هكذا أبرزت الشاعرة الصفات المعنوية للمرأة البوسنية دون أن تذكرها حرفيّاً، إذ نستنتج من بيتيها أعلاه، أنه تلك المرأة مسلمة، وطاهرة، وبدل أن تكون الحِناء أداة لتزيين الرأس، كان الدم وسيلة للتعبير عن هول الفاجعة التي حلّت بها، وعن مدى الحزن الذي سيشعر به كل من يراها على هذه الحالة، وهكذا سطّرت الشاعرة (المرأة) الأثر والوقع الذي أحسّت به لحظة موت شقيقتها المسلمة، وعبّرت عنه بصور شعرية كانت أبعد أثرًا في النفس البشرية التي تلقّت شعرها، فامتزجت روحها مع روح الشاعرة، وعاشت معها تلك الحالة وتألمت مثلها لذلك المشهد.

وكثيرًا ما كان الشعراء يلجأون لاستخدام عبارات حقيقية الاستعمال، ولكنها في الوقت نفسه دقيقة التصوير، دالة على خيال خصب، وبذلك توصلوا إلى صور مجازية قرينة للحقيقة، وفي الوقت توازي إيحاء الاستعارات والتشابيه.

وتتكئ الصورة الشعرية في قصائد الشعراء العرب المتخصصة بالبوسنة على طائفة من أصناف البلاغة العربية غير المقصودة لذاتها، وفي مقدمتها التشبيهات المتنوعة التي ترفد القصيدة بزخم كبير مما تتشكل به الصورة الشعرية:

١-التشابيه

ومن أنواع التشابيه الواردة في شعرهم:

التشبيه المرسل، وهو ما ذكرت فيه أداة التشبيه، كقول الشاعرة ليلى العثمان عن الحرب:

كصوت غراب
كأرجوحة من غبار رجيم
كأنياب أفعى تبثُّ السموم
كمثل حريقٍ، يزلزل كلَّ اخضرار الحقول
ويُبقي على الأرض صمتَ الخراب

فهنا ذكرت الشاعرة أداة التشبيه، وهي الكاف، في التشابيه الأربعة المذكورة في أبياتها، لتبيّن فظاعة الحرب وقسوتها.

التشبيه المؤكد: وهو ما حذفت منه الأداة، كقول الشاعر عدنان النحوي:

(وفي سمائي، لو أبصرت من دمنا
لآلئ زيّناها: النجم والقمر)

وهنا شبَّهَ الشاعر تزيين الدم للأرض، بتزيين النجم والقمر للسماء، دون ذكر أداة التشبيه.

التشبيه المجمل: وهو ما حذف منه وجه الشبه، كقول الشاعر محمود السيد غنيم:

(وخاطبهم خطيب الصرب بالبارود والمدفع)

فهنا لم يذكر الشاعر وجه الشبه بين الحديث بالكلمات، وبين القصف بالسلاح.

التشبيه المفصَّل: ما ذكر فيه وجه الشبه كقول الشاعر أحمد باعطب:

(مـا خـانَ سيفُكِ في يمينكِ عـهدَهُ

لـكنّ سيفَ الـعدلِ يـا حسنـاءُ خـانْ)

فوجه الشبه بين السيفين هنا هو الخيانة، وهنا ننوّه لما في البيت من روعة تتمثل في تشبيه البوسنة بالمرأة الحسناء، وفي ذلك تجسيد وتشخيص جميل، استطاع الشاعر من خلاله أن يهب الحياة حتى للجمادات لتنهض، وفي الوقت نفسه جعل الشاعر للعدالة الدولية سيف، فربط بين المادي والمعنوي مضفيًا على البيت الشعري، وعلى الضمير الإنساني، رابطًا في قمة الجمال، وإن كان يتحدّث عن الخيانة.

التشبيه المقلوب: وهو جعل المشبه به مشبهاً، والمشبه مشبهاً به، كقول الشاعر حسين علي محمد:

(والعاشقة

في دفتر الأشواق تُبصر حبها

بدرًا يضيء الأمسيات)

فالمشبّه به هنا هو يتراوح بين دفتر الأشواق، والبدر، والمشبّه هو الإضاءة ببعدها المعنوي والروحي في جسد العاشقة من جهة، وفي كبد السماء عندما يحين المساء من جهة أخرى.

التشبيه التمثيلي: وهو الذي يكون فيه وجه الشبه في صورة منتزعة من متعدد كقول الشاعر محمد الصاوي:

وتـرى رُبـا (البـلـقـان) تُـبـرز حُسنها

وكــأنمــا هـــي أجــمــل الــفــتــيــاتِ

فوجه الشبه بين البلقان والفتيات، هو الحُسنُ أولاً، ثم الجمال.

التشبيه الضمني: وهو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، ومن ذلك قول الشاعر عبد الجواد طايل:

صـبـرًا جـمـيـلاً (سـرايـيـفـو) فـإن غـدًا

قد ينصرُ اللهُ بعدَ العسرِ من صبروا

وقول الشاعر محمد بن ظافر الشهري:

أرى الـنـهرَ لا يـجـري إذا جـفّ نـبـعُـهُ

ولا يـضـربُ الـبـتّـارُ إن كُـسـرَ الـنَّـصـلُ

فهنا لا يوجد تشبيه صريح، غير أن تفسير البيت يوضح أن مدينة سراييفو كالمرأة، كلاهما تشتكيان من فقد الغالي وموته في حالة الحرب.

٢- الاستعارات

الاستعارة هي تشبيه بليغ حذف أحد طرفيه، وتعرَّف على أنها استخدام كلمة في غير معناها الحقيقي، لعلاقة المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، والقرينة تكون إما ملفوظة أو ملحوظة، وهي عدة أنواع منها:

الاستعارة التصريحية، وفيها يحذف المشبه ويبقى المشبه به، كقول الشاعر محمد سعيد فخرو عن سراييفو:

يا قطعةَ حبٍّ من كبدي

ونداء مخنوقًا بين الأجفان

دموعًا حارقةً..حمراء..

تتساقطُ فوق الخدّ

سيولاً من نار ودماء

فالنداء المخنوق يصدر عادة عن الفم، وهو هنا غير مذكور، والدموع عادة مصدرها العيون، وهي أيضًا غير مذكورة، منوّهين هنا إلى تفنّن الشاعر في التعبير عن مكانة كوسوفو في نفسه.

الاستعارة المكنية: وهي ما صُرِّح فيها بلفظ المشبه وحذف المشبه به، ورُمز له بشيء من لوازمه، كقول الشاعر المنصف الوهايبي عن اللاجئ من البوسنة بعد تخيّله إفناء الحرب لسكانها:

لــــم يُـــــــلَـــــــوِّحْ لـــــه أحـــد
غــــيـــرَ سَـــــــرِوِ الجـــبـــال
بمـــــنـــــاديـــلــــهِ الخُــــضْـــــر
خـــافـــقـــةً فـــي رمــــاد الخــريــف

فَلِسرِوِ الجبال هنا مناديل خضراء لوّاحة وخفاقة، تُشاطر اللاجئ المغترب أحزانه لفقد الأحبة والوطن.

الاستعارة التمثيلية وهي تشبيه حالة بحالة، أو تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، ومن ذلك قول الشاعر أيمن الركراكي:

لــلــبــوســنــةِ أعــــزفُ أغــنــيــةً
فــيــخــضِّــبُ دمـــعـــيَ مِـــزمـــاري
ويـــســـيـــلُ نـــزيــفـــي فـــي ورقـــي
لـــهـــبًـــا مــــن حــــيـــرةِ أفـــكـــاري

فالشاعر هنا يُشبه وضعه عند كتابة الشعر في البوسنة، بوضع المغني، فثمة غناء بالكلمات، وثمة غناء يتطلب التضحية بالدم، ويتطلّب الموقف الوطني القوي عبر نزف الحبر على الورق، والنزف في الحالتين يشتمل على «لهب معنوي» ينبثق من حيرة «الفكر المعنوي» أيضًا، وهنا تتبدى روعة التعبير عن المقاومة بالفعل، وبالقلم أيضًا.

المجازات: وردت في الشعر العربي المتخصص بالقضية البوسنية أعداد كبيرة من المجازات، ومنها: المجاز العقلي، وهو إِسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير صاحبه لعلاقة، مع قرينة مانعة من أن يكون الإسناد حقيقياً، والمجاز اللغوي: وهو الاستعارة نفسها، وقد سبق وأن قدمنا نموذجاً عليه، والمجاز المرسل: هو الكلمة المستعملة قصداً

في غير معناها الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة دالة على عدم إرادة المعنى الحقيقي، وفي المجازات الواردة في شعر البوسنة تبزغ الكثير من الصور الشعرية الجميلة التي يتجلى فيها التجسيد وما يتخلله من دب الحياة في غير الأحياء، يقول الشاعر حمودة زلوم عن سراييفو:

سيّدة المدن

تتزيا بالأزهار

وتسمو فوق النجم

وتزهو كعروسٍ

تلبس أثوابَ المجد

وتنشرُ في الأرجاء شذاها

تفرد أجنحة الودّ

وهنا نشير أيضًا لامتلاء قصائد هذا الصنف من الشعر بما يعرف في علم البلاغة العربية، بالمحسّنات المعنوية، وخاصة ما يعرف بالطباق أو التضاد أو الثنائيات، والذي يقوم على الجمع في الكلام الواحد بين الشيء الواحد وضده، أو مقابله، سواء كان ذلك الجمع خفيّاً أو ظاهراً، وبالإيجاب في الطرفين أو في أحدهما، وسواء كان الطرفان حقيقيين أو مجازيين، اسمين أو فعلين أو حرفين أو مختلفين، ويبدو ذلك في الأبيات أعلاه لا سيّما في قول الشاعر حمود الصميلي:

(شرق البسيطة مدّهم والمغرب).

ولأن قصائدهم ليست بحاجة إلى محسنات بديعية أو معنوية حتى تساهم في تجميلها، بل كان الكلام من تلقاء نفسه يزخر بالكثير من عناصر البلاغة العربية التي تساهم في إيصال المضامين السياسية والوطنية التي كانوا يبتغون طرحها، ومن هنا حملت الثنائيات أبعاداً عكسية يندر تكرارها في قصائد غيرهم من الشعراء، يقول الشاعر:

فــالــذيــن قُــتِــلــوا..هــهــنــا
تــركــوا عــلــى أكــفــانِ ســرايــيــفــو
دمًــا أزرقَ كــحــلــمِ الــبــحــيــرات
وقــبــورا بــيــضــاءَ.. كــالــثــلــجِ بــيــضــاء

الموسيقى الشعرية

ركّز الشعراء في قصائدهم المتخصصة بالبوسنة، والتي تنوّعت ما بين القصيدة العمودية، وقصيدة التفعيلة، والشعر المنثور، على الموسيقى الداخلية باعتبارها النغم الذي يجمع بين الألفاظ والصور، وبين وقع الكلام والحالة النفسية، وباعتباره المزاوجة التامة بين المعنى والشكل، وبينهم وبين قرائهم وبين المضمون الوطني الذي تحدثوا عنه بلغتهم الحماسية القوية، في الوقت الذي ابتعدوا فيه عن الصنعة اللفظية وكذلك البديع والمحسّنات التي تمتاز بها البلاغة العربية، وفي بعض القصائد برزت قوة الألفاظ المصاحبة لجَرْسٍ إيقاعي، ممتلئ بالإيحاءات والدلالات، ورغم ما فيها من جزالة إلا أنها كانت بسيطة التراكيب، عفوية، وبعيدة عن التصنّع والتكلّف.

إن تركيز الشعراء على المعاني أعفاهم من مسالة التدقيق في الألفاظ ومتانتها في بعض الأحيان، فجاءت تراكيبها وأساليبها غريبة وغير مألوفة، رغم جودتها وروعتها، يتضح ذلك على سبيل المثال في قصيدة الشاعر أحمد باعطب عن سراييفو والتي جاء فيها:

مــا لــلــزوارقِ خــانَــتْــهــا المــجــاديــفُ
وخــيَّــمَــتْ فــي حــنــايــاهــا الأراجــيــفُ
هــل أنــكــرتْــهــا مــيــاهُ الــنــهــر أو غــرقــتْ
فــي الــيَّــم ســادتــهــا الــبُــزل الــغــطــاريــف
قــالــوا: أتــعــرفــهــا؟بــالأمــس روّعــهــا
أبــنــاءُ ضــرّتــهــا الــجــوعــى المــلاهــيــف
فــقــلــت أعــرفُــهــا مــن يــوم مــولــدهِ
هــذي الــبــطــولــةُ تــرويــهــا ســرايــيــفــو

فالشاعر هنا أراد قافية لقصيدته تنتهي بما تنتهي إليه كلمة سراييفو، الفاء والواو، فبحث عن ألفاظ وإن صلحت للقصيدة، فهي قد تبدو ثقيلة على الأذن، يُشابهها إلى حد ما من القوّة والروعة التي تخرج عن المألوف، قول الشاعر خالد مظلوم:

على الرغم من كل هذا الجفافْ

تسيل دموعي وتسقي الضِّفافْ

قضيةُ شعبي كموج البحار

تروح وتغدو بنفس المطاف

وهنا أنوّه إلى التزام نسبة عالية جدًا من القصائد بالقوافي، غير أنها كانت تأتي دائمًا في سياق الكلام، فتكسبه موسيقى عذبة تتلاءم وتتناغم مع المعنى، وهذه الأبيات من قصيدة الشاعر حمود الصميلي تؤكد هذه الحقيقة:

مَن ذا يُعانِدُ أمةً أبناؤها

شرقُ البسيطةِ مَدُّهمْ والمغربُ

في قلب أحشاءِ الثَّرى أقدامُها

وعلى جبينِ الشمس نشوى تخطب

وُجِدَتْ لتخفقَ عاليًا أعلامُها

ما حلّ في كبدِ السماء الكوكب

فيها مفاتيحُ الجنان لعَالَم

لو ذاقَ مشرَبَها لطابَ المشْرَب

وهنا أشير إلى ورود كثير من الأبيات في القصائد مرتبطة ببعضها نحويّاً، في الصدر، لكنها لا تنتهي عروضيّاً إلا في العَجُز، كما أشير إلى استخدام الشعراء جميع البحور في قصائدهم العمودية، ولم يُركّزوا على بحر بعينه، رغم أن وصف المعارك وما يتخللها في العادة يستدعي استخدام البحر الطويل.

مواصفات بين الشكل والمضمون

ولأن لكل قصيدة قيلت حول البوسنة كانت لها مواصفاتها الجمالية والفنية والموضوعية، فإن الباحث مضطر لذكر أبرز المواصفات التي تشترك بها معظمها، والتي تتمثل في:

ذكر الأماكن البوسنية وباللغة المعتمدة فيها، الأمر الذي كان يجعل بعضهم يعيد تشكيلها وفق متطلبات المقاطع الصوتية والعروضية، فثمة من يربط البوسنة والهرسك معًا(بوسنهرسك: خالد مظلوم) وثمة من يفصل سرايبفو إلى مقطعين (سراي ايفو:محمود السيد غنيم)، وثمة من يحذف الواو من آخرها(سرايبف: عدنان النحوي).

الصدق العاطفي الذي يتجلّى في تصوير الشعراء لأحاسيسهم والتعبير عن ألمهم ومعاناتهم، ولم يكن يُقلل من مكانة ذلك إلا بعض المبالغة التي كان يوردها الشعراء في أثناء وصفهم لجرائم الحرب التي شهدتها البوسنة، بهدف عكس تأثّرهم بالوقائع، ومحاولتهم نقل ذلك التأثير ليؤثروا في قرّائهم من جهة أخرى، وبذلك تُفسّر سيطرة النزعة الدينية الغيبية، واستخدامها للتأثير في الضمائر الإنسانية بعامة، والعربية والإسلامية بخاصة عبر تعداد الانتهاكات التي ارتكبها الأعداء ضد سكان البوسنة بعامة وأعراض النساء فيها بخاصة.

الوحدة العضوية والموضوعية في القصائد، وإجادة حسن التخلص من موضوع إلى موضوع في القصائد متعددة الأغراض، إلى جانب طول نفس معظم الشعراء، وبروز ثقافتهم في شعرهم.

ابتعاد معظم القصائد عن المذهب الرمزي أو المذاهب الأخرى التي تتطلب غموضًا، أو فانتازيا، وفي بعض الأحيان كانوا يقتربون من المباشرة التي تتيح للشعراء الاستفادة من طاقة النثر وإيقاعه.

ولعلّ ما يلحظه الباحث في شعر البوسنة، تعدد أصوات الشعراء داخل القصيدة الواحدة، ثم تبادلهم الأدوار والموقع في جميع القصائد، كانوا عن غير عمدٍ أو قصدٍ يُكملون بعضهم، وبذلك سهّلوا على الباحث رؤية طيفهم السياسي، ومعرفة موقفهم الإيديولوجي، في الوقت الذي قدموا له خدمة جليلة تمثّلت في تناولهم لجميع القضايا التي ولّدتها تلك الحرب، بكلّ ما فيها من شمولية واتساع وتعددية وبُعد نظر.

ويمتاز الشعر العربي في البوسنة، بأنه شعر مؤقت، بدأ مع الحرب وانتهى بانتهاء تداعياتها، وهنا نذكر أن بداية الحرب تلت يومي ٢/٢٩و١/٣/١٩٩٢ بعد أن ذهب البوسنيون لصناديق الاقتراع للمشاركة في الاستفتاء الخاص باستقلال بلدهم عن صربيا والجبل الأسود، وذلك لأن الدول الأوروبية اشترطت على البوسنة تصويت الشعب البوسني على الاستقلال، حتى يعترفوا بالبوسنة، وفي أثناء عملية الاستفتاء دخل الجيش الصربي ليسيطر على العاصمة «سرايفيو» في دقائق معدودة[١].

إشارات

ظلّت قصائد البوسنة مُوزعة في الصحف والمجلات، وفي المواقع الالكترونية، وقد كانت رابطة الأدب الإسلامي العالمية سبّاقة، حين أصدرت عن دار البشير في الأردن، ثلاث طبعات من ديوان البوسنة والهرسك الذي اشتمل على أربعين قصيدة لتسعة وعشرين شاعرًا، طبعتان صدرتا عام ١٩٩٣، وطبعة صدرت عام ١٩٩٥، وأصدرت مكتبة العبيكان في السعودية طبعة جديدة منه عام ٢٠٠٥، وقد راعينا في هذا الكتاب، أن تكون القصائد والمقدمة المنشورة فيه مستقلة عن الديوان المذكور، مراعاة لعدم التكرار، ولتقديم الجديد للقارئ العربي، ولإطلاع القارئ نفسه على ما تقوم به مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري من إنجازات تستحقّ التمجيد والخلود لأن في إصداراتها حول البوسنة وغيرها ما هو أهلٌ لذلك، وقد تمّ ترتيب القصائد المنتخبة في هذا الكتاب، وفق الأحرف الهجائية لأسماء الشعراء..

ورغم كثرة الأعمال الشعرية التي صدرت متخصصة بموضوع البوسنة، إلا أن ديوان الشاعر الدكتور حسن الأمراني الذي يحمل عنوان «جسر على نهر درينا»، والذي صدر عن منشورات المشكاة، في المغرب، عام ١٩٩٢، يستحق أن نشير إليه هنا، علمًا أن الشاعر أوضّح في تقديمه له سبب تسميته الديوان بهذا الاسم، حيث استعار العنوان

(١) **الرابط:** alqaoud.wordpress.com

من رواية الكاتب والأديب البوسني الكاثوليكي إيفواند ريتش.. (جسر على نهر درينا) والتي ظهرت غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٤٥ م، وقد نال صاحبها بعد ذلك جائزة نوبل في الآداب. يقول الكاتب: إن رواية «جسر على نهر درينا» تختصر تاريخ البوسنة والهرسك منذ الفتح العثماني حتى الاستعمار النمساوي برؤية مؤلفها إيفواند المتميزة، فقد بُني الجسر الذي كان قائمًا على نهر درينا سنة ٩٧٩ هـ/ ١٥٧١م بأمر الوزير العثماني «محمد باشا سوكولوفيتش» الذي ولد في قرية صغيرة من قرى البوسنة قرب فيشيجراد، القرية الواقعة عند ملتقى النهرين: «درينا» و«رزاق» وقد أراده الوزير رابطًا بين الإقليمين العثمانيين «البوسنة» و«الصرب».

وننوّه لصدور أكثر من ديوان شعري حمل عنوان (ملحمة البوسنة والهرسك) للشعراء: عدنان النحوي، محمد الغزالي، فيصل الحجي، محمد فريد عبد الخالق، كما صدر كتاب للباحث حربي شفيق يحمل العنوان نفسه، وقد كانت كلمة «ملحمة» تشير للمعارك أكثر من إشارتها لمضامين الدواوين، وبالتالي خلت جميعها من الشروط الأولى للعمل الملحمي، وفي مقدمتها أن تكون غير واقعية، وتستند للأساطير..كما نشير إلى أن الشاعر السوري خالد مصباح مظلوم، أطلق على نفسه اسم «شاعر البوسنة والهرسك».

وقد حظي الشعر العربي المختص بالبوسنة، برسالة ماجستير، أعدها الباحث عبد الحميد محمد شعيب، ونوقشت في كلية اللغة العربية، بجامعة الأزهر، فرع المنصورة.

لقد تعدّدت القصائد التي قيلت في البوسنة وتنوّعت، فمنها قصائد عابرة، تُذكر البوسنة فيها ذِكرًا فقط، بينما تدور موضوعاتها حول قضايا عامة، وقد تجاوزها هذا الكتاب، وثمة قصائد متخصصة بالبوسنة، وهي التي ورد معظمها فيه.

وكان معظم شعراء بعض الأقطار يُبدعون قصائد عن البوسنة، بينما توجد أقطار لم يُبدع من بين شعرائها حول هذا الموضوع إلا واحد أو اثنين، كما أن عددًا قليلاً جدًا من الشاعرات العربيات شاركن في الإبداع في هذا المجال.

أدلى الشعراء الشعبيون في الوطن العربي بدلوهم في هذه القضية الإنسانية، وكان لهم ديوانهم الخاص بالبوسنة والذي ما زال متناثرًا في المواقع الألكترونية، غير أننا لم نورد لهم أي قصيدة هنا، رغم أن بعضها ورد على شكل أناشيد أو أغانٍ، لأن هذا الكتاب خاص بالشعر الفصيح.

ولقد انتَهَزَتْ بعض التنظيمات والفصائل الدينية العدوان على البوسنة، لتنشر على مواقعها الالكترونية، قصائد لشعراء متخصصين بنقد «القاعدة الشعبية ورأس الهرم» في بعض أقطارالعالم، وقد تم تجاوز تلك القصائد أيضًا، وذلك لما فيها من تجريح وإهانة، عدا عن كونها تظهر دونما أسماء، أو بأسماء غير حقيقية، وحتى الأبيات والمقاطع التي كان فيها إهانة لأي فرد أو دولة في القصائد المنشورة في هذا الكتاب، فقد تمّ حذفها، وتمّ نشر القصيدة مسبوقة بالكلمات الثلاث التالية «ومضات من قصيدة.....».

ويجد القارئ الكريم، ترجمة كاملة لهذا الكتاب، نفّذتها بسموٍّ واقتدار الأستاذة الدكتورة ألما دزدار، الأمر الذي يُضفي عليه بُعدًا عالميّاً وإنسانيّاً، آخذين بعين الاعتبار أن الترجمة عمل ثقافي، ينتج عنه تثاقف طويل الأمد، على صعيد الأفراد والجماعات، وأنها تُعبر عن أبعاد حضارية، قابلة للتعميم والانتشار، عبر تفاعل الثقافات، في إطار من العلاقات المبنية على التبادل الثقافي الحر، والإبداع بين مختلف الشعوب والقوميات، وأنها حوار ضمني بين تجارب الشعوب الثقافية، عبر الكلمة الفاعلة، وهي بالمدلول الثقافي والحضاري للمفهوم، ليست مجرد نقل كلمة أو فكرة من لغة إلى أخرى، بل هي، بالدرجة الأولى، فعل ثقافة حية قادرة على تحويل موارد المجتمع إلى قوى محركة للطاقات الإبداعية فيه، ولديها القدرة على تحويل الثقافة إلى فعل حضاري، وديناميةقوية لتغيير المجتمع، بعد أن أصبح العالم كله مساحة ثقافية واحدة، تعيش نوعًا من التفاعل اليومي والمباشر بين مختلف أشكال الثقافات، واللغات، والشعوب، وسبق لها أن لعبت دورًا أساسيًا في حفظ التراث العالمي من الضياع والتلف، بسبب كثرة الحروب

والمنازعات، والعوامل الطبيعية المدمرة، لذلك اعتبرت حركتها، بمثابة فعل حوار دائم، بين القوى البشرية، ذات الثقافات المتنوعة، والقادرة على التفاعل الايجابي، من موقع حوار الأنداد بين ثقافات حية، وتبرز أهميتها من خلال توحيد المصطلحات والمفاهيم، بهدف نشر ثقافة كونية، تقارب بين الشعوب، ولا تزيد من حدة التباعد والتنافر فيما بينها، على خلفية ثقافاتها المحلية.

****

القصائد

رُتبت حسب الأحرف الهجائية
لأسماء الشعراء

ربوع البوسنة والهرسك

إني من «الإسلام» أنتهج السبيل إلى السلام

شعر: إبراهيم السامرائي[1]

وشعائري جَمْعٌ ولا قصرٌ تقود إلى الوئامِ
هي في ربوعٍ(*) كنّ لي من بعض زمزمَ والمقام
أسعى إلى الأرض الطهورْ عِشًا بها ظُلِمَ الأنام
هي كلُّ أرضٍ لم يكنْ للحقِّ فيها من ذِمام
وجعلتُها حجّاً على بعدٍ من «البلد الحرام»
أوليتها نُسُكي فصنت القلبَ عن خبثِ الأثام
وبذاك صُمتُ عن الهوى فنمى إلى خيرٍ صيامي
وليَ الدعاءُ صلاةُ موصولِ السُّجود إلى القيام
صَدَقَ الجهاد وقد زكا فضلاً إلى سبل التمام
إني على فقري لأسني من زكاتي في سِهامي
ولصوتُ داعٍ للمكارم زانَهُ خيرُ النظام
هوَ لي سلاحٌ أنتضيهِ متى دجَا يومُ الزحام
وهتفتُ: أين الحقُّ للإنسان في الغِيَر الجِسَام
يُعدَى على الطفل الغريرِ يُقادُ للموت الزؤام
ويُكالُ للشيخ الكبيرِ يُذاق من غُصَصِ الحِمام

---

(١) إبراهيم السامرائي، شاعر عراقي، كتب قصيدته هذه في صنعاء بتاريخ ١٩٩٣/٦/١٢، ونشرها قبل وفاته في ديوانه «حنين إلى الكلم الضائع» الصادر عن دار عمّار في عمان عام ١٩٩٩، الصفحات ٦٨٧-٦٨٩.

* الربوع هنا هي «ديار البوسنة والهرسك» كما أشار الشاعر إلى ذلك في ديوانه المذكور أعلاه.

كيف السكوتُ على «اغتصاب» كرائمٍ لبني الكرام
أحقوقُ هذا «الغربِ» أن يُمنَى العظيمُ من العظام
ألأنَّهُ من «مسلمينَ» وأنَّهُ شرُّ الطَّغَام
ولأنَّ ظالمهُ نسيبُ الغربِ في جيشٍ لُهام
هي ذي ديار المسلمين سطا بهنّ ذوو عُرام

☆☆☆☆

إني ذهبتُ إلى الأُلى أَلِفوا مغالبة الخِصام
سعيًا إلى ما لا يُطاقُ وما يَجِلُّ عن الكلام
لا فرقَ ألمسُ بين من صمدوا إلى النُّوَبِ العظام
أولاءِ مثلُ أولئك الساعِينَ في دنيا الصّدام
أنا للأباةِ المُتعبينَ لكلّ سبّاقٍ هُمام
ولئن صبرتُ فما أراني قد ملكت من الزّمام
وغدًا أُقادُ، وليس من طوقٍ، إلى دنيا الظلام

****

قصيدتان:

سراييفو

أحمد باعطب[1]

مـا لـلـزَّوارقِ خـانـتْـهـا الـمـجـاديـفُ

وخـيَّـمَـتْ فـي حـنـايـاهـا الأراجـيـفُ

هـل أنـكـرتْـهـا مـيـاهُ الـنـهـرِ أو غـرِقَـتْ

فـي الـيـمِّ سـادَتُـهـا الـبُـزْلُ الـغـطـاريـف؟

قـالـوا: أتـعـرِفُـهـا؟ بـالأمـسِ روَّعَـهـا

أبـنـاء ضـرَّتِـهـا الجَـوْعـى المـلاهـيـفُ

فـقـلـتُ أعـرفُـهـا مـن يـومِ مـولـدِهـا

هــذي الـبـطـولـةُ تـرْويـهـا سـراييـفـو

****

(١) أحمد سالم باعطب، شاعر يمني، وقصيدته الأولى منشورة على موقع منتدى الأدب العربي الالكتروني، الموقع http://www.b-99.com

(*) أما قصيدته الثانية فمنشورة على الموقع الالكتروني، الموقع: www://qsayed.elaana.com

سرايیفو

قالت سرايـيـفـو أبـي بـالأمـس كـانْ
ذا صـولـةٍ فـي الـعـالمـينَ وصَـولجـانْ
وفــدَتْ إلـيـه الـشـهـبُ تـهـتـفُ باسـمـه
تُـزْجـي الــولاءَ لـه وتُـسْـلِـمُـهُ الـعِـنـان
شــهـدتْ زفــافــي لــلـعَـلاء وهــنَّــأتْ
أهـلـي وصَـحـبـي بـالـخـطـوبـة والـقِـران
مـا كـنـتُ أحـسـبُ أنـنـي سـأعـودُ مـنْ
عُـرسـي مـخـضَّـبـةَ المحـاجـرِ والـبَـنـان

☆☆☆☆

يـا زهــرةً فـي الأرضِ حـاربَـهـا الـزمـانْ
وازورَّ عـنـهـا بــين جـيـرتِـهـا المـكـان
هــذي قـصـيـدتُـك الـتـي سـطَّـرْتِـهـا
فـي الحــرب مـشـرقـةُ المـلامـح للـعـيان
مــا أنـــتِ أرمـــلـــةٌ ولـــســتِ بـعـاقـرٍ
لـم تُـنبـتـي شـوكـاً ولـم تـلـدي الجَـبـان
مـا خـــانَ سـيـفُـكِ فـي يمـيـنِـكِ عـهـدَهُ
لـكـنَّ سـيـفَ الـعـدلِ يـا حـسـنـاءُ خـان

****

برقية استنجاد

أحمد بن عايش المزني[1]

أنا مَنْ لِيهْ ؟ أنا مَنْ لِيَهْ ؟ مَنْ للنفوس الزاكيهْ؟
مَن للغواني والشيوخ وللعيون الباكيه؟
مَن للأرامِل واليتامى والدموع الجاريه؟
مَن للثَّكالى ؟ والضَّياعُ يطوف أرضَ الغاليه
مَن للحوامل ؟ بُقِّرتْ أرحامُهنَّ بأرضيه!!
مَن للعَرايا ؟ ألبسوهنّ الثيابَ الباليه
مَن للحدائق والمروج وللبلابل شاديه؟
مَن للجبال الشامخاتِ وللقصور العاليه؟
أنا من لِيَهْ ؟ يا أمةَ الإسلام قولي: من لِيَهْ؟!
أَلِيَ القراراتُ التي فاحت وعوداً خاويه؟!
أَلِيَ الكلامُ منمقاً خُطَبٌ تَرَدَّدُ راغيه؟!
أَلِيَ القصائدُ؟ أحسنَ الشعراءُ فيّ القافيه
أَلِيَ الدموعُ المسْبَلاتُ من العيون الصافيه؟!
يا أمَّتِي أنا لا أريد قصائداً متناجيه
يا أمَّتي أنا لا أريد العينَ تُمسِي باكيه
يا أمِّتي أهوى الجحافلَ زاحفاتٍ عاتِيه
يا أمِّتي أهوى الجيوشَ تسيرُ نحوي غازيه
أهوى الشبابَ مجاهداً في ظلِّ حربٍ داميه
أهوى شباباً عزمهُ دكَّ الجبالَ الراسيه

(١) أحمد بن عايش المزني، شاعر سعودي، وقصيدته منشورة في مجلة البيان، الصادرة عن المنتدى الإسلامي في لندن، العدد٥٧، الصادر في شهر تشرين ثاني ١٩٩٢، الصفحتان ٦٢-٦٣.

أهــــوى شــبــابــاً لــيــس يــعــكــفُ حـــولَ كـــأسِ الــغــانــيــة
كـــلاّ ولا يــقــضــي الــلــيــالــي عــنــد ثـــغْـــرِ الـــشَّــاديــة
أهـــــــواهُ يـــحـــرسُ جـــنـــدَهُ فـــي لـــيـــلـــةٍ مـــا شـــاتـــيـــة
يـــا أمَّـــتـــي طـــال الـــنِّـــفـــاقُ بـــأرضِـــكِ المـتـرامـيـة
أكـــثَـــرتِ مــن عـــقــدِ المـــجـــالـــسِ والـــنـــتـــائـــج مـــاهـــيــه ؟
يـــا أمَّـــتـــي أنـــا «بـــوســـنـــةٌ» أشـــكـــو فـــقـــولـــي: مَـــن لِـــيَـــه ؟
أيـــن الـــرجـــالُ إذا دُعـــوا هـــبُّـــوا لخـــوضِ الـــغـــاشـــيـــة ؟
أيـــنَ ابـــنُ مَـــعْـــدي ؟ أيـــن خـــالـــدُ ؟ أيـــن راحَ مـــعـــاويـــة ؟
أيـــن الأُلـــى ؟ مـــلأوا الـــبـــلادَ عـــدالـــةً ورفـــاهـــيـــة
أنـــا مَـــن لِـــيَـــهْ ؟ يـــا أمـــةَ الإســـلام قـــولـــي: مَـــن لِـــيَـــهْ ؟ !
فـــلْـــتُـــقْـــدِمـــي بـــجـــحـــافـــلٍ صـــيـــحـــاتُـــهـــا مـــتـــعـــالـــيـــة..
فَـــلْـــتـــســـرِعـــي يـــا أمَّـــتـــي، أو فـــابْـــعَـــثِـــي بـــالـــتَّـــعـــزيـــة !.

****

بكائية سرايبفو

أحمد سويلم[١]

(١)

أحدٌ... أحدْ

ما مِن أحدْ

في الصُّور ينفخُ.. أو يعيدُ الوجهَ

مِن لونِ الكَمَدْ

ما من أحدْ

آلى على جفنِ الدماءِ

وجاء ينجزُ ما وعدْ..

(٢)

والعينُ تشهد.. والقلوبُ

وأنَّةُ الأطفالِ.. والراياتُ

والصلواتُ تذبحُ فوق رملٍ يتَّقدْ..

ومآذنٌ كَسرتْ أذانَ الفجرِ

فانعصرتْ شموسٌ

قطَّرت آلامَها فوق الزَّبَدْ

الحلمُ كان.. ولم يعدْ

---

(٤) أحمد سويلم، شاعر مصري، نشر قصيدته هذه على موقع النادي الأدبي بحائل، الموقع: http://www.adabihail.com

(٣)

والصمتُ يُخرِسُ قادةَ الدنيا

ولو صاحتْ بقلبِ الليل عاهرة

لَهبُّوا...

إنه صوتُ الجسد!

أحدٌ.. أحدْ

ما مِن أحدْ

الحلمُ كان ولم يعدْ

****

ومضات من قصيدتين:

البوسنة في مهب الريح

أحمد الظرافي[(١)]

يـا بـوسـنـويـون صـبـرًا إنّـــه قــدرُ
لـيـس المـفـرَّ مـن المـقـدور مـقـتـدرُ

يـا مَـن يـحـقُّ علـينـا أنْ نـسـانـدَهُـم
بـــأيِّ عـــذرٍ مــن الأعـــذار نـعـتـذر

نـراكـمُ الـيـومَ فـي ضـيـقٍ وفـي حـرجٍ
فـي غـابـةٍ، وظـــلامُ الـلـيـلِ منتشر

ولــيــس عــنـدَكـمُ زادٌ ولا مَــدَدٌ
ويــدّعــي كــلُّ وحـــشٍ أنـكـم خـطر

يا إخـوةَ الـديـن صـبـرًا فـي مصيبتكم
تـلـك الـتـي لـم يـعـشْـهـا قـبلَكم بَشَـر

يـا قـلَّـةً مـن بـنـي الإســلام واقـعـةً
فـي بقعةٍ حـولَـهـا الأعـداءُ قـد كَـثُـروا

ويمـلـكـون سـلاحًـا لـو أُريـــدَ بـهِ
حــرقُ الـبـسـيـطـةِ بـاتـتْ مـنـه تـسـتـعر

وقـد أغـــاروا عـلـيـكم فـي نـفـوسِـهـمُ
حـقـدٌ يـثـور وفـــي أعـيـانـهـم شـرر

---

(١) أحمد الظرافي، شاعر يمني، وقصيدته الأولى منشورة في موقع رواء الأدب الالكتروني، الموقع:
http://www.ruowaa.com

حَـــدُّوا المـخـالـبَ والأنـيــابُ بـــارزةٌ

ومـخـلـبُ الـلـيـثِ لا يُـبقـي ولا يـذر

إبـــادةُ الــديــنِ: ديــن الحـــقِّ، غـايـتـهـم

أن يـسـحـقـوه فــلا يـبـقـى لــه أثـر

لأجــلِ هــذا هـمـو يـسـعَـوْنَ فــي دأبٍ

مـنـذ الـقـديم، ومــا مـلّـوا ولا ضـجـروا

والـيــومَ لمــا رأوا الأوضـــاعَ سـانـحـةً

بـالمـسـلـمـين وبـــالإســـلام قــد غـــدروا

يــا أمّـــةَ الحـــقِّ، والإســـلام كـيـف لنـا

هــذا الــتـرقُّـبُ والإذعـــــانُ والحَـــذر

لَـكَـم يـعـيـبُ عـلـيـنـا تَــــرْكَ إخـوتـنـا

رهـــنَ المـــذابـــحِ لا حـــسٌّ ولا خـبـر

مـــطـــارَدونَ بـــلا ذنـــبٍ تـلاُحـقُـهـم

قــذائــفُ الحـقـدِ كـالأمـطـار تـنـهـمـر

والمـسـلـمـاتُ فـهـل يُـتـركْـنَ دون حِـمـى

يـلـهـو بِـــهـــنَّ لـئـيـمُ فـــاحـــشٌ قــذر

حتى الـصـغـيراتِ لـم يَـسْـلَـمنَ من عبثٍ

وهـــنَّ كـالـزهـر فـــي أكـمــامِـهِ نـضـر

****

سراييفو.. النداء الأخير[1]

أحمد الظرفي

سـرايـيـفـو.. تـنـادي المسلمينا
بـأعـلـى صـوتِـهـا شـعـبًا ودينـا

لـقـد نـادتْ ومـا زالـت تـنـادي
بـنـي الإسـلامِ هـبُّـوا فـانـصـرونا

فـنـحـنُ أيُّـهـا الإخـوانُ مـنـكـمْ
لـنـا حـقٌّ عـلـيـكـمْ أجـمـعـيـنـا

ونـحـن هـنـا نـدافـع عـن وجـودٍ
وعـن مـجـدِ الجـدودِ الـفـاتحـيـنا

نـدافـعُ عـن ثـراكُـم، عـن حِـمـاكُـم
عـن الإسـلام، ضـدَّ المـعـتـديـنـا

لـيـبـقـى هـا هـنـا نـورًا مـشـعّـاً
عـلـى رغـمِ الـغـزاةِ المـجـرمـيـنـا

فـإنـهـمُ، ومـن زمـنٍ قـديم
يُـكـنُّـون لـنـا حـقـدًا دفـيـنـا

مـرادهـمُ الخـبـيـثُ لـيـسـحـقـونـا
وقَـتْـلُ عـقـيـدةِ الإسـلامِ فـيـنـا

ألَـمْ يـخـبـركُـمُ الـتـاريـخُ عـنـا
وعـن مـأسـاتِـنـا عـبـرَ السِّـنـيـنـا

---

(١) نشر قصيدته الثانية على موقع منتديات الجزيرة توك، الموقع:
http://www.aljazeeratalk.net/forum/showthread

فكم ذُقْناهُ جيلاً بعد جيلٍ

من الضِّرب الطُّغاةِ الفاحشينا

ونحنُ اليومَ في همٍّ عظيمٍ

فإنّا للفناء مُعَرَّضونا

نُقَتَّلُ بالألوفِ بدونِ ذنبٍ

وتُهدمُ دورُنا بغيًا علينا

و أُحرِقتِ المدائنُ والضواحي

ولُذنا بالجبالِ مُشرَّدينا

ودُمِّرتِ القرى، قصفًا وهدمًا

بهنَّ نساؤنا وبها بنونا

فلا طفلٌ ولا امرأةٌ عجوزٌ

من التقتيلِ كانوا سالمينا

نساءُ المسلمينَ قَدِ اغتصِبنَ

على مرأى وسَمْعِ العالمينا

فكَمْ من ذاتِ أخلاقٍ ودينٍ

أباحوا عِرضَها الحُرَّ المصونا

تقاومُ، تستغيثُ، بدون جدوى

فلا تجدُ النصيرَ أو المعينا

وربَّ صغيرةٍ ماتت نَحيبًا

وهم يلهونَ ليسوا شاعِرينا

وكم قتلوا وكم عاثوا فسادًا

وكم صَلبوا وكم بَقَروا البُطونا

جرائمهمْ لنا من دونِ ذنبٍ

ولا جرمٍ تصمُّ السَّامعينا

وتـــأبـــاهـــا الـــنـــســـورُ وتـــزدريـــهـــا

وحـــــوشُ الـــغـــابِ إشـــفـــاقًـــا ولِـيـنـا

وبـــعـــدُ.. أيَـــا بَـنِـي الإســـــلامِ هـبُّـوا

لـــنُـــصـــرةِ ديـــنـــكـــمْ نـــصـــرًا مـبـيـنـا

ألـــيـــسَ رقـــــودكُـــــمْ ذلاً وعَـــجْـــزا

وأنــــتــــم كـــلُّـــكـــم مُـــســـتـــهـــدَفُـــونـــا

****

ومضات من قصيدة:

وردة حمراء من جراح جُرَزْدَة

أحمد محمد الصديق[1]

يا «جُرَزْدَهْ!..»

يا عرينًا ضمّ أُسْدَه

يا جبينًا يتعالى.. ناشرًا في الأفق بنده

ومدادُ الجرح..قد سطّر للأجيال مجده

أطلقيهم للمعالي..

وابعثي للحق جُنده

كفكفي الدمع

فلن تلقي سِوى الرحمنِ نجده

إنّ برقًا خُلّبًا..يا أختُ..

لن يصدق وعده

إنما يصدق حُرّ.. مؤمنٌ.. شمَّر زنده

ظامئًا..لا يرتضي إلا معين النصر وِرْده

☆☆☆☆

يا «جُرَزْدَهْ!..»

سيفُك القاطعُ بعدَ اليومِ

(١) أحمد محمد الصديق، شاعر قَطَري، وقصيدته منشورة في ديوانه «يا سراييفو الحبيبة» الصادر عن دار أسامة في عمان عام ١٩٩٦، الصفحات: ٣٢-٣٩.

لا يسكن غمده

هو ذا الغرب..على الإسلام

قد أجمع ضدّه..

فاحذريه..

واجعلي وجهكِ نحو الله وحده

وأعدّي..

فالوغى بذلٌ.. وتصميمٌ وعُدَّه

نحن يا أختاه شتَّى.. نكتوي ظلمًا وشدّه

تأكل الأيامُ منا.. والسياطُ المستبدّه

فاصرفي طَرْفك عنا..

وابعثي الروح المُجِدَّه

....

☆☆☆☆

يا «جُرَزْدَهْ!..»

ثغرُكِ المحروسُ بالإيمان.. ربُّ العرشِ سدَّه

فاحفظيه

واكتبي بالصدق والإخلاص عهده

حلِّقي كالنَّسْرِ في العلياء..إذ أصبحتِ ندَّه

زوّدي النشءَ شموعًا..

من هُداه مُستمدّه

إن يومَ الثأر آتٍ.. فاشحَذي للعزم حَدَّه

طفلُكِ المذهول يا أختاه.. وط ءُ الهمّ هدّه

كيف ينسى ليلة العدوان من مَزَّقَ جلدَهْ؟

كيف ينسى طعنةَ الغدر في الظهر وكيده؟

وذئابًا تنهش العِرضَ.. وتُذكي الجمرَ بعده..

ودمارًا حاقَ بالعُش الذي قد كان مَهْده

وأذان الفجر.. والمحراب.. من أسكت وِرْده

والدم المسفوحُ بحرًا.. يشهد العالم مَدّه

إنه الكابوسُ.. هل ينساه؟ هل يطفئ وقْدَه؟

نُصْبُ عينيه المآسي تركتْ في القلب رعدة

وهو في الغربة يرجو.. بعد طول الهجر عَوده

☆☆☆☆

يا «جُرَزْدَهْ!..»

يُفرض الحلّ كما شاؤوا..ومن يملك ردّه؟!

إنما البركانُ قد يولد بعده..

تُعصر النبتةُ يا أختاه إن لانت..

وتأبى وهي صَلْده..

فارفعي الرأس شموخًا..

واحشدي للحقِّ حَشْده

سوف يأتي فارس البشرى..

فكوني مستعده

طرزي يا أختُ من أحلامِك الخضراء وَرده

لوّنيها بالسَّنا المخضوبِ.. إذْ ينفث ندّه..

وعلى قبر شهيدٍ ظافرٍ..أفرغَ جهده..

فازرعيها قمرًا..جرّ على الآفاق بُرده

مُقبِلاً يطلب في الدارَينِ نُعماهُ وخُلده..

لم يكنْ يضحكُ إلا بعد أن حطّم قيده

واهبًا لله مُحياه..

ومسعاه.. ورِفْده

حقّق الغاية..

يا نعماهُ في العُقبى وسَعده!..

ضاربًا في الأرض للدِّينِ

وللتمكينِ طودَهْ..

****

سراييفو

آدم فتحي[1]

سراييفو.. لا شيءَ هذا المساء

سِوى الثلجِ فوقَ دمِ الأبرياء

يعرِّي الخطايا ويُبكي البلاد.

أمَا من حدودٍ لهذا الجنون؟

أما آن للروح ألاّ تهون؟

وللحلم إن قلت كن أن يكون

لنحيا الحياة.

سراييفو..

كم ينبغي أن يفوتْ.

من الوقتِ كم ينبغي أن يفوت

وكم مرةً ينبغي أن نموتْ

لتحيا الحياة.. لتحيا الحياة

سراييفو..

لا شيءَ هذا الخريف

سِوى الحرب

تدوي بصمتٍ مخيف.

وتسرقُ منكِ الخُطا والرغيف.

أما من عيون لهذي القرى؟

أما آن للروح أن تكبرا؟

---

(١) آدم فتحي، شاعر تونسي، نشر هذه القصيدة بعد أن غناها المطرب التونسي لطفي بوشناق، على موقع *themutelover.maktoobblog.com*

وللناس أن يفهموا ما جرى

لتحيا الحياة.

سراييفو...

كم ينبغي أن يفوتْ؟

من الوقت كم ينبغي أن يفوتْ؟

وكم مرة ينبغي أن نموتْ

لتحيا الحياة..

سراييفو..

لا شيءَ إلا كلام ...

يقول السلام.. و يعني الركام..

و يمشي ولو فوق بيضِ الحمام..

أما مِن عبورٍ لهذا المضيق..

أما آن للروح أن تستفيق ...

لعل الحريقَ يضيء الطريق ...

لتحيا الحياة..

****

ومضات من قصيدة:
دموع مع البوسنة والهرسك

أمينة قطب[1]

فــــزِعَ الـلـيـلُ مـن صـــراخِ صِـغـارِ
أنــقــذونــا مــن عُـصـبـةِ الأشـــرار
وصــــــراخٍ مـــفــزَّعٍ مـــن نــســاءٍ
وشــيــوخٍ قــد دُمِّـــروا بـالـحـصـار
صـــرخــاتٌ قــد روّعـــتْ كــلَّ حـيٍّ
سَـمِـعـتْـهـا الـطـيـورُ فـي الأوكَـــار
«أيــهــا الــعُــرْبُ، أيـهـا الأهـــلُ منّـا
أنـــقــذوا أرضَ إخــــوَةٍ أحـــرار»
«دنّـسـوا الـعِـرض، أحـرقـوا كـلَّ عيشٍ
واستـهـانـوا(بـالـشـجـب) فـي الأمـصـار»
قَـــدِّمـــوا مــن ســلاحِـكـم أيَّ قَـــدْرٍ
مــن تـــلالِ المـــخـــزونِ فــي الأطـمـار
يــا جـيـوشَ الـشـعـوبِ هـيَّـا أزيـلـوا
مــن ديـــار الإخـــوانِ مـحـنـةَ عـار
أخـرجـوا المـجـرمـينَ مـن كـلِّ أرضٍ
قــاتـلـوهُـم فـــي كـــلِّ ركـــنٍ ودار
قـــاومـــوا الــــذلَّ والـــهـــوانَ بـعـزم
جـــــدِّدوا المَـجـدَ مـــرَّة بـانـتـصـار!

---

(١) أمينة قطب، شاعرة مصرية، وقصيدتها هذه منشورة في ديوانها «مع القافلة» الصادر عن دار البشير في عمان، ومؤسسة الرسالة في بيروت عام ١٩٩٩، الصفحات ٥٣-٥٥.

يـا لـهـولَ الحـسـابِ؛ كيف رضيتمْ
بـالـقُـعـودِ الـذلـيـلِ بـيـن الـصّـغـار؟
واسـتـنـمـتـمْ لـلـقـهـر؛ مـا عـاد فيكم
مـن مـجـيـبٍ لـهـاتـفِ اسـتـنـفـار؟
فـتـداعـتْ عـلـيـكـمُ أممٌ عطـ
ـشَـى لـسـفـكِ الـدمـاء كـالأنـهـار
وغـدوتُمْ مـن الـهَـوانِ غـثـاءً
مـسـتـبـاحًـا لـلـطـامـع الجـبَّـار
يـا شـعـوبًا نـاءت بـخِـزيٍ طـويـلٍ
واسـتـكـانـتْ فـي ذلـةٍ وانـكـسـار
لا تـظـلـوا مـثـلَ الـقـطـيـعِ انـصـيـاعًـا
أو عـبـيـدًا تُـسـاقُ كـالأبـقـار
مَـزقـوا رايـةَ الـهـوانِ وهـبُّـوا
أبـدلُـوهـا بـرايـةِ الأحـرار
كي تكونوا الأُسـودَ في الليل تمضي
لـديـار الأشـرار كـالإعـصـار
فـي زئـيـرٍ لـلـثـأر يـومًـا سـيـأتـي
تـسـتـعـادُ الـدّيـارُ لـلأحـرار
وتـعـودُ الـبَـسْـمـاتُ بـعـدَ دمـوعٍ
ذرَفـتْـهـا الـعـيـونُ فـي كـل دار
ويـرى المـجـرمـون مـا قـد أسَـالـوا
مِـن دمـاءٍ قـد أيـنـعـتْ لـلـثـار

****

كانت سرايفو عاشقة

أيمن الركراكي[1]

لـلـبُـسْـنَـةِ أُنـــشِـــدُ أشــعــاري

حَـــــرَّى تمـــتـــاحُ مـــن الــــنَّــــارِ

بــنــزيــفِ الـــصَّـــدرِ إذا يـجـري

آهـــــــاتٍ تـــنـــطـــقُ أوتـــــاري

لـلـبـسـنـةِ أعــــــزفُ أغـنـيـةً

فـيُـخـضِّـبُ دمــعــيَ مــزمــاري

ويــســيــلُ نــزيــفــي فـــي ورقـــي

لــهــبًــا مـــن حــيْــرةِ أفــكــاري

لـلـبـسـنـةِ أهـــــرقُ مِـحْـبَـرتـي

فــيــســيــلُ دمــــي كـــالأنـــهـــار

لا أقـــــــدرُ ســــــدَّ مــنــابــعــهِ

لا أقـــــدرُ كـــتـــمَ الأســــــرار

وأهـــــيـــــجُ أهـــيـــجُ بــــلا طــــربٍ

وأذوبُ أذوبُ بــــلا نـــار

فـــــأرى الأوتــــــارَ تُــقــاسِــمُــنــي

هـــــولَ الأشــــجــــانِ بــــإصــــرار

وأرى الأوتـــــــــارَ تُــعــاتِــبــنــي

فـــــأديمُ الــــسَّـــمـــعَ لأوتـــــاري

☆☆☆☆

(١) أيمن الركراكي، شاعر مغربي، وقصيدته هذه منشورة في موقع مدونات مكتوب الالكترونية، الموقع:
http://eymen.maktoobblog.com

أأراكَ على طَللٍ طربًا
وجموعُ الصِّربِ على الدار
ولدى سريفو ملحمةُ
ويقادُ الناسُ لجزار
أَتُبيحُ الشَّدوَ لِتَذكُرَها
ذكرَ الألحانِ لسُمَّار
وتبيحُ الشَّدوَ لتبكيها
فتُكفكفُ دمعةَ ثرثار

☆☆☆☆

أطرقتُ لأسمعَ أوتاري
فرجعتُ برجَّةِ إعصار
وسمعتُ روايةَ عاشقةٍ
هزَّتْ ألبابَ الأحرار
كانت سريفو عاشقةً
كانت في صفِّ الثُّوار
كانت سريفو فاتنةً
لا تمهلُ قلبَ النُّظار
كانت تتملَّكُ ناظرَها
بغِلالَةِ حُسْنٍ سَحَّار
كانت سريفو مؤمنةً
باللهِ ربِّ المختار
حَبَستْ للهِ محاسنَها
حبستْ حُسنًا كالأزهار

وغدتْ تأبى من خاطِبِها

مهرًا إلاّ أخْذَ الثار

مِن قاتلِ عالمِ مسجدها

مُذْ عاثَ الشرُّ بأدوار

كانت سريفو عاشقةً

وتهيمُ بحبٍّ جَبَّار

هامتْ بفِتَاها ما احتملتْ

هجْرَ المحبوبِ المختار

فهفَا البسنيُّ لِلُقياها

وتَرامى من جُرْفٍ هاري

كانت سريفو عاصفةً

تتقاذفُ روحَ الأحجار

للبُسْنَةِ تهتفُ صارخةً

وا إسلامًا يا لَلْعار

نظرتْ فالشرُّ يُحاصرُها

وتُقَنبلُ كلَّ الأشبَار

وتُحَرِّقُ كلَّ مساجدِها

وتهيجُ النَّارُ على النَّار

وتُمزِّقُ كلَّ مصاحفِها

كي تُفنِي دينَ الأبرار

وتُقَتِّلُ أشياخًا عَلِموا

وتُقتِّلُ كلَّ الأخيار

فهفَا البسنيُّ وفي يدهِ

من شوكِ قَتَادِ الصَّبار

سعفًا يرتاحُ لعدّتِهِ

ويعاندُ هولَ الأخطار

مِن أجل سرايفو يمضي

لأوارِ النَّار الأوّار

فتَراءتْ في الأبعاد له

سريفو أمُّ الأحرار

ورأى من دون الوصلِ بها

وهْجًا من حولِ الأسوار

ورمى بالشوك فكان صَدَا

هُ لهيبَ قنابلِ شرشار

مالَ البسنيُّ فأثخنَهُ

لهبٌ يجري الموت العاري

مات البسنيُّ فعانقَهُ

دمعُ (السَّافا) النهرِ الجاري

نظرتْ سريفو لعاشقِها

نظرتْ بعيونِ المحتار

وتزلَّفَ ماءُ مآقيها

فسقى سافا الجمر الجاري

جَارٍ كدموعي محترقٌ

كحريقِ فؤادي المنهار

☆☆☆☆

ألقيتُ اللحظةَ مزماري

وتركتُ حديثَ الأوتار

وجــعــلــتُ أردِّدُ أغـنـيـتـي

وجــعــلــتُ أردّدُ أشــعــاري

ودمــوعــي تــنــزفُ حــارقــةً

حَــرَّى تَمــتَــاحُ مِــن الــنــار

****

القدرة والصبر

ثامر العنزي[1]

قلمي ولّى وأدبرْ
والضحايا بأخاديدِ اللَّظى
تُرمى تُسعّر
وبحارُ الحزن في البوسنةِ
والقدسُ تُفجَّرْ
كلّما حاولتُ أن أبدي وأخبرْ
قلمي ولّى وأدبرْ
وتجهّم ثم كشّرْ
كيف أرضى أن أموتَ اليومَ صبرا
ثم أُقبرْ
فكؤوس الذلِّ
في أرض النبوءات تُحضّر

☆☆☆☆

فإذا غنى مغنٍ وتبختر
رقصَ القومُ وقالوا
نحن نهوى من يُزمّر
وإذا صاح منادٍ ثم حذّر
غضبَ القومُ وقالوا
أنت يا هذا أصوليٌّ فأقصِرْ

☆☆☆☆

---

(١) ثامر العنزي، شاعر كويتي، نشر قصيدته هذه في مجلة (البيان)، الصادرة عن (المنتدى الإسلامي في لندن)، العدد ٩٣، الصادر في تشرين الأول ١٩٩٥، الصفحتان ٩٠-٩١.

وضميرُ العالمِ اليومَ

على بوابةِ القدس تسمَّر

وفؤادُ الأمةِ الحيرَى

بأغلالِ الهوى يُمسي ويُسفِر

وعلى الباطل يَسْمَر

وقلوب الشرِّ

بالأحقادِ تقطرْ

ووراء القوم...

قد حوى المكر فثرثر

فأفيقوا يا بني قومي

فآلام الضَّحايا

بسهامِ الحقد تُنحر

ثم عودوا لكتاب اللهِ

والنهجِ المسطَّر

☆☆☆☆

وأنا أرفع رِجلاً وأؤخّرْ

وأنا أزعم أني لست أقدرْ

وعلى الباغي سأصبرْ

وعلى صبري سَأُؤجرْ

في زمانٍ جُعل المعروفُ مُنكرْ.

✵✵✵✵

قصيدتان

حسن الأمراني[1]

الواقعة

تلك غرناطةُ أم تلك سراييفو الشهيدةْ
مِثلُ أمٍّ حرةٍ غاب بنوها
(خرّ من خرَّ ومن فرّ فقد فرَّ)
وفي الأفق نداء نازف الجبهةِ
يستصرخُ أبناء العقيده
ليت للمسلم عينًا فترى
ما ألاقي من عذابٍ وضنَى
قيدوني.. عذبوني.. ضربوا
موطنَ العفةِ مني بالعصا
آهِ يا أمُّ اعذرينا
نحن أصبحنا أسارى الذل والقهر الشديدِ
اِعذرينا
فلقد أدمتْ سجايانا القيودْ
لم أجد عذرًا لكم بعد امتهان العِرض والدينِ
وما غبطة حَيٍّ صار يحيا كالعبيد
لم أجدْ عذرًا سِوى أن تطلبوا دربَ الشهيد

---

(١) حسن الأمراني شاعر مغربي، قصيدته الأولى منشورة في الصفحة (٣٠) من ديوانه «جسر على نهر درينا»، الطبعة الصادرة عن مكتبة الطالب، في وجدة، بالمملكة المغربية.

(*) القصيدة الثانية منشورة في الصفحة «٢٨» من الديوان نفسه.

الصَّلب(*)

رجلٌ معلقٌ، موثقٌ إلى الجسر
حاصَروني
أنا لا أدري لماذا حاصروني
ولماذا اعتقلوني
ولماذا فوق هذا الجسر ظلمًا صلبوني
أنا لا أدري لماذا اغتصبوا أختي حيالي
يا لَعاري
يا لَذلِّي وانكساري
ولماذا عذبوا أمي واقتادوا أبي للاعتقال
أنا لا أدري لماذا قيدونا بالسلاسلْ
فأبي الفذّ المناضلْ
كان تحت الراية الحمرا يقاتلْ
يدفع النازيَّ في ليل المحنْ
عن بلكرادَ وعن زغربَ عن كل مدينه
فقدتْ طعم السكينه
وأبي ظل يقاتل
عن سراييفو التي تشمخ في قلب الزمنْ
نحن دافعنا عن الأرض عن العِرض وعن مجد الوطن
فلماذا اليومَ صرنا غرباء؟
ولماذا اليومَ صرنا كالوباء

****

اسْتِغَاثَةُ فَتَاةٍ بُوسْنِيَّة

حسن عبدالحميد الدراوي[1]

حَزِينَةٌ أَنَا

مَجْرُوحَةٌ أَنَا

أَنَا هُنَاكَ

أَنَا مُسْلِمَةٌ مِنْ بِلادِ الإِسْلام

أَبْحَثُ عَنْ أُمِّي

أَبْحَثُ عَنْ أَبِي

أَبْحَثُ عَنْ أُخْتِي وَأَخِي

أَبْحَثُ عَنْ دَارِي وَأَرْضِي

أَيْنَ أَنَا ؟

حَيَاتِي شَقَاءٌ وَتَعَاسَة

فَقَدْتُ كُلَّ شَيْء

وَلا أَمْلِكُ شَيْئًا

صَوْتُ المدْفَعِ يُدَوِّي فِي أُذنِي

رَائِحَةُ دُخَانِ الْبَنَادِقِ

تَمْلأُ أَنْفِي وَصَدْرِي

أَنَا وَغَيْرِي

---

(١) حسن عبد الحميد الدراوي، شاعر مصري، وقصيدته هذه «من الشعر المنثور» ومنشورة على موقع الجمعية الدولية للغويين والمترجمين العرب، الموقع: http://www.wata.cc/forums/showthread

كَثِيرٌ كَثِيرٌ مِثْلِي

وَمِثْلُهُمْ يَنَامُونَ فِي سِرْدَابٍ طَوِيل

بِلا مَاءٍ وَلا طَعَامٍ وَلا فِرَاش

بِلا نُورٍ وَلا أَمَان

لا طَعْمَ إِلا الرُّعْبُ وَالضّيَاع

اَهٍ.. اَه..أَيْنَ أَنْتَ يَا أَبِي

أَيْنَ أَنْتِ يَا أُمّي

أَبْحَثُ عَنْ دِفْءٍ وَحَنَان

أَبْحَثُ عَنْ أَرْضٍ وَسَمَاء

أَبْحَثُ عَنْ أَمْنٍ وَأَمَان

مِثْلَ بَنَاتِ جِنْسِي

رَبّي.. رَبّي

أَنْتَ لِي...

أَنْقِذْنِي مِنْ ضَيَاعٍ وَشَتَات

يَنْهَشانِ لَحْمِي وَعِرْضِي

يُحْكِمانِ الْقَبْضَةَ عَلَى دَارِي وَأَرْضِي

دُمُوعُ الثّكَالَى وَالْيَتَامَى

أَنْهَارٌ تَرْوِي أَرْضًا قَفْرًا

بُكَاءُ الأَطْفَالِ

وَصَرْخَاتُ الْعَجُوزِ

تُدَوّي بَيْنَ سَرَادِيبِ سَرَاييفُو

تَحْكِي قِصّةَ تَعْذِيبٍ وَغَدْر

وَلأنَّنِي.. وَلأنَّنِي

أَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ لِيَ اسْمُ وَصَوْت

لأَجْلِ هَذَا فَعَلُوا وَيَفْعَلُونَ بِي

كُلُّهُمْ.. كُلُّهُمْ..

اتّفَقُوا عَلَيّ...

كُلُّهُمْ لا يُرِيدُونَنِي أَنْ أَعِيش

كُلُّهُمْ أَحْكَمُوا حَبْلَ الْمِشْنَقَةِ حَوْلَ عُنُقِي

وَلأَنَّنِي.. وَلأَنَّنِي

أَقُولُ: لا إِلَهَ إِلا الله

مُحَمّدٌ رَسُولُ الله

جَدُّوا فِي تَعْذِيبِي وَقَهْرِي

أَنَا !! مَنْ أَنَا ؟!!

أَنَا بُوسْنِيّة

(أَنَا مِنْ سِرْبِينِيتْشَا)

لا مَنْجَى وَلا مَلْجَأَ إِلا أَنْتَ يَا رَبِّي..

فَلا أُمَمَ مُتّحِدَةَ

وَلا قَوَافِلَ إِغَاثَةٍ تُجْدِي شَيْئًا

أَنْقِذْنِي يَا رَبِّ

دُعَاءً وَصَلاةً

صَبْرًا وَعَزِيمَةً

صِدْقًا وَإِخْلاصًا

إِنّ وَعْدَكَ الْحَقُّ

أَنْتَ وَحْدَكَ الْقَادِرُ

عَلَى دَحْرِ الظُّلْمِ

وَإِعَادَةِ وَطَنِي المُغْتَصَب

لأَسْمَعَ صَوْتَ الْمُؤَذِّنِ

فِي فَجْرٍ جَدِيد

اللهُ أَكْبَرُ.. اللهُ أَكْبَر..

نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيب...

****

فاطمة

حسن بن عبيد المطروشي[1]

وتَصُرُّ بعضَ الأحزمةْ

فبسائلٍ أين التوجهُ يا أمَّهْ

فتجيبه: بل حرة أنا مسلمة

ولرُبَّ مُحْصنةٍ تصادر ذاتَ يوم كالأَمَهْ

أنا زهرةٌ من دوحةِ القرآن

سقاني شذاهُ وبلسمهْ

في دفء داري كنت أحيا مُكرَّمه

ذات مساءٍ داهمتْ داري وجوهٌ مجرمهْ

ببنادق رعناء كالطوفان

مُلهِبة حرائقَ مضْرمة

وهدير أحذية ثِقال الخطوِ تصخب دمدمه

أمي التقية عبَّؤوها بالشظايا صدرها والجمجمه

وتقدموا نحوي كقطعان الذئاب محوِّمه

فشممت رائحة الجريمة في لظى أحداقهم

في الهمهمات المبهمة

هي عفتي وبكارتي

جسدي المحاصر كيف لي أنْ أسْلِمهْ

أم كيف أدفعُ صبوةَ الطغيان أن أرغي وشد الأحزمة؟

---

(١) حسن بن عبيد المطروشي، شاعر عماني، قال هذه القصيدة في ديوان له، على لسان امرأة من البوسنة،اسمها (فاطمة)، وقد سمى قصيدته وديوانه بالاسم نفسه، وهي منشورة على موقع شبكة غيوم ثقافية، الموقع:
http://www.ghyoom.com/ib/index.php

نفذتُها كرهًا مشاريعَ الرذيلة
تحت أفواهِ البنادق مرغمهْ
تركوا نجاستَهم بأوردتي
تطلّ برأسها كاللعنة المتجهمةْ
هذا الذي ينمو بأحشائي
غدا كيف احتمالي مَقْدِمه؟
شفتايَ كيف أردّ شوقهما إذا
همّت تقبل مِبْسمه
هذا الذي ينمو بأحشائي سيلعنني بأني مجرمه
ماذا أجيب إذا تساءل عن أبيه
وأي عرقٍ صَبَّ في جسدي دمه
أأبيحه السرَّ القبيح ؟
وكيف لي أن أكتمه؟
كم صاحَ فينا مخلص منددًا بالمَظْلَمه
باسم الضمير الحيّ يهتف بالعدالة
سائلاً بالمرحمة
إن كان في الإنسان بقايا مكرمة
لكن أصواتَ العدالةِ أهملت
إن القضيةَ مسلمة
أبُنَيّ لستُ بآثمةٍ
لكنما الإثمُ سكوتُ الأنظمةْ
ابنيَّ أين زوابعُ الألقابِ
أين الأوسمه؟
فهناك ألفُ تحالفٍ
وهناك ألفُ منظمةْ
زنزانةٌ كبرى حياتي يابنيَّ

يلّفها رعبُ الزوايا المظلمه
أنا قريةٌ مسكونةٌ بالجمر
مُذ سرقوا صباي َ ظللتُ أبكي مأتمه
أنا موطنُ الإنهيار، بالتمزق مفعمه
لا تسألنّ بنيَّ
فغدًا إذا وافيتَ
تقرأ قصةَ الطغيان في جسدي فصولاً مُحْكَمه
وغدًا سيكتملُ القَصَاصُ غدًا نعيدُ المحكمه...

****

اعتذارية إلى سراييفو

حسين علي محمد[1]

ماذا بعثت لها سِوى الأملِ الكذوبْ؟

العاشقُ الرعديدُ يُغلق دفترًا من أمنياتْ

والعاشقةُ

في دفتر الأشواقِ تُبصر حبّها

بدرًا يضيء الأمسياتْ

هل تضحك الأيام للوجه الحزين

هل تعرف المخدوعةُ الحسناءُ

أكثرَ من حصاد التُّرّهات؟

هل تعرف السلوى، وتقنعُ بالجراح؟

ماذا تغنِّي في دجى الليل المطاردِ بالحراثِ؟

قُزحيّة الأشواق..

ماذا يصطليك من العذابْ

يا أيُها الجرحُ..

المضمّخُ بالعذاباتِ الجديدهْ

والهناءات البعيدهْ

والغيابْ؟

****

---

(١) حسين علي محمد، شاعر مصري، وقصيدته هذه منشورة في مجلة الفيصل بالرياض، العدد٢٠١، لشهري آب وأيلول ١٩٩٣.

سراييفو

حمودة زلوم[1]

هذي المزدانةُ بالأضواءْ

وألقِ التاريخ العاطرْ

سيدةُ المدن

تتزيّا بالأزهارِ

وتسمو فوق النجمِ

وتزهو كعروسٍ

تلبسُ أثوابَ المجد

وتنشرُ في الأرجاء شذاها

تفردُ أجنحةَ الودّ

وتمتحُ من أمواهِ العشق

وتسقي العشاقْ

كانت واحةَ أمنٍ ورخاءٍ

يتعالى في الأرجاءِ

نداء الله الخالدِ

تلبسُ أثوابَ الوجْدِ

فتسمو في ملكوت الله الواحد

هذي سيدةُ المدن

---

(١) حمودة زلوم، شاعر أردني، زوّد معد هذا الكتاب بهذه القصيدة قبل نشرها.

وأجملهن
برعتْ في العلمِ
وبزَّتْ مدنَ المعمورةِ.
كانت شمسًا
ضاءت أرجاء الأرض
وانتصبتْ مثلَ عمودِ النورِ
تضيء الكونَ
وتنشر في الأرجاء الشوقَ
لآتٍ أكثر إشراقًا وبهاء
هذي المشتاقةُ أبدًا
لفضاء الرِّفعة
كانت تسكن فوق عروشِ الزمن الأخضر
تفتح للعشاق نوافذَها
تُعلن أنّ الحبَّ مفاتيحُ الألفةِ
والإيلافْ
كانت مهوى الأفئدةِ الباحثةِ
عن الأمل الضائعِ
هذي السيدةُ المزدانةُ بالأضواءْ
فاجأها الأعداءْ
خانوا الميثاق
وأحالوا سيدةَ المدن خرابًا
واغتالوا فرحَ الأطفال
وتمادَوا في قطع عناقيدِ البهجه
وتداعوا كالطوفان الجارفِ
يقتلع البشر.. الحجر.. الأشجارِ
الأزهارْ
لم يردعهمْ رادعْ

ومضَوا شُلَّت أيديهم
مثل وحوشٍ ضاريةٍ
عطشى للدمْ
جاؤوا بقلوبٍ يعْمرها
الحقدُ الأعمى
ويُسيُّرها العفنُ الأممي
ويلبسها ثوب الغدر
وسراييفو تغرق بالدم
وتغرق في الهمِّ
ولا أحدَ يمدّ أيادي النخوة
لا أحدَ يقاسمُها الأحزانْ
لا أحدَ يخفّفُ عنها
آلامَ القهرْ
لكنْ في يوم جِدُّ قريب
تنهض ثانيةً
تبني.. ترفع.. تزرعُ
ليعود الأمسُ
وتزهر أزهارْ
ويعود آذان الصلواتِ الخمس
كما كانا
والبسمةُ تعلو وجهَ سراييفو
لتعودَ – كما كانت – نبعًا للنور
ودارًا للألفة والإيلافْ

****

ومضات من قصيدة: لن نخذلك

إلى شعب البوسنة والهرسك الصابر المرابط

حيدر الغديِّر[1]

لن نخذلكْ

أبدًا ولن نرضى المهانةَ لكْ

أبدًا ولن ندعَ العنانَ لظالمٍ كي يقتلَكْ

سنظلُّ نحن الأوفياءَ لحقكٍ المشروع لك

نبني ونبذل أو نقاتل لا نبالي مَنْ هَلَك

والباذلون المالَ والأرواحَ نِعْم العون لك

والباذلونَ هم النجوم تضيء غاشية الحَلك

لبيكَ يا شعبَ البطولةِ إننا لن نخذلَك

من إخوةٍ هبوا سراعًا كي يصونوا معقلَكْ

وتسابقوا بمكارم جلّت فزانت منزلك

فالمسلمون أخوّة زهراء ما دارَ الفلك

☆☆☆☆

يا أيها الشعبُ الجريحُ عليك من قومي السلامْ

ما أشرقت شمسٌ وما غنى على الأيكِ الحَمامْ

ما طافَ بالحرم الحجيج وما دعا فيه الأنامْ

ما رتبوا ما أمّنوا خلفَ الإمامْ

ما رددت زهر المآذن عانقت كبدَ الغمامْ

---

(١) حيدر الغدير، شاعر سوري، نشر هذه القصيدة في ديوانه «غدًا نأتيك يا أقصى» الصادر عن مكتبة البستان في عمان، عام ٢٠٠٧، الصفحات ٣٩-٤٢.

الله أكبر فاستعان الحقُّ بالبشرى وقامْ
وهوى الطغاة المبطلون وفضّ جمعهم الظلامْ
وعلا لواءُ المؤمنين وعمَّ في السَّاحِ السلامْ

☆☆☆☆

يا أيها الشعبُ الذي احتمل الخطوبَ وما استكانْ
حيَّتك مكةُ والمدينةُ والمنابرُ والأذانْ
والمسجدُ الأقصى وفرسانٌ لهم في المجد شانْ
والفاتحونَ المسلمونَ وهم حكاياتٌ حِسان
قالوا وقد صدقوا فزانوا قولهم والفعل زانْ
المجدُ للأبطال والخذلانُ توأمةُ الجبان

☆☆☆☆

يا أيها الشعبُ المرزّأُ بالكوارث والصعابْ
نهشَتْه أنيابُ المدافع والقنابل والحرابْ
وتقاطرتْ هوج المصائبِ فاغراتٍ كالذئابْ

....

فإذا بهم كالبومِ والنيران في الأرض الخرابْ
هدموا المساجدَ والمآذن والمنابرَ والقباب
قتلوا الشيوخَ الراكعين أهلّةً قبل الشباب
وعَدُوا على العِرض المصونِ بالافتراس والاغتصاب
يا سوءَ ما فعلوا ويا للعار والشرفِ المصاب
يا شعبُ فاحذرهم وإن هدؤوا فهم سمٌّ وصاب

☆☆☆☆

يا أيها الشعبُ المكلّلُ بالوقار وبالجلالْ
يا أيها الشعبُ الذي عشق البطولةَ والنِّزالْ
يا أيها الشعبُ العنيدُ كأنه صمُّ الجبالْ

كالليثِ ريعَ وكالكُماةِ وقد تداعَوا للقتالْ
دهمتْهُ أهوالُ العدو كأنها الداءُ العضال
نهشًا وتقتيلاً وتمزيقًا وللحقد اشتعال
فالجرحُ كالتِّنين يفتك والنِّصالُ على النِّصال
لن نخذلَكْ والقول يشهدُ والفِعال

☆☆☆☆

أبدًا ولن نرضى المهانةَ لك
أبدًا ولن ندعَ العِنان لظالمٍ كي يقتلَكْ
سنظلُّ نحن الأوفياء لحقك المشروع لك
صحراؤنا لن تخذلَك
وجبالنا لن تخذلَك
ونساؤنا لن تخذلَك
ورجالنا لن تخذلَك
وغنيّنا لن يخذلَك
نحن الكرامُ الباذلونَ ونحن أكرمُ من مَلَكْ
والمسلمون أخوّة زهراء ما دار الفلك
وإليك من شعري نشيد الحبِّ والإخلاص لك
قَطَفَ النجوم وصاغها تاجًا بديعًا كلَّلك.

✵✵✵✵

أبطال البوسنة

خالد مصباح مظلوم[1]

الصَّامدونَ بـ(بوسنةٍ) أبطالُ
قهروا «مُزيلِيهم» وهم ما زالوا

للبوسِنيِّينَ الكرامِ مدائحي
بالحقّ تشدو والدعا ينهال

جارَ العدوُّ عليهمو بشراسةٍ
وهمو لردِّ حقوقهم نُـوَّال

لم تلقَ كلُّ الأرض أتعسَ منهمو
حالاً وساد البؤس والأهوال

وبرغمِ هذا عنفوانٌ دائمٌ
فيهم لأنّ الدينَ لا يُغتَال

من أجل عنصرةِ العروق تحزَّبوا
وجميعنا من آدمٍ أجيال

وبرغمِ سطوتهمْ ورغمِ جنونهمْ
لن يستطيعوا النصرَ مهما احتالوا

فاللهُ يحمي المؤمنينَ جميعهم
مهما تأجّل وعدَهُ الفعّال

لهَفي عليهمْ والثلوجُ تبيدهم
وهم العراةُ دروعهم أسْمَال

---

(١) خالد مصباح مظلوم، شاعر سوري أطلق على نفسه اسم «شاعر البوسنة والهرسك»، وشعره هذا منشور في ديوانه «صبرًا يا آل البوسنة»، الذي نشره بصفته الشخصية(دونما ناشر) في دمشق، عام ١٩٩٤.

يتجمعون كبارُهم وصغارُهم

يتلمسونَ الأمنَ وهو مُحال

يا ربَّنا اجعلْ كلَّ فصلٍ دافئًا

عطفًا عليهمُ صبرُهم أجبال

يا ربَّنا ادعمهُم وعجِّلْ نصرهَم

نصرًا عزيزًا إنكَ المتعال

البوسنهرسك لن تستلب

أزيزُ الرصاصِ يناجي الهُضْبْ

ألا بوسْنَ هرسكَ لن تُستلبْ

وإني الفدائيُّ مستبسلٌ

أجشِّمُ نفسي أَشَقَّ التعب

وأطوي الموانعَ والشائكاتِ

وأَلقَى الأعادي بجوف اللهب

هل اليأسُ دبّ بنفسيَ؟ كلاّ

سأبقى أجاهدُ حتى الغَلَب

أصونُ بلادي بفرضِ الجهادِ

أعيدُ السلامَ بعزمِ القُضُب

وأصنعُ فجري بوهجِ الحديدِ

وأتلو كتابي بقلبٍ حَدِب

أجدِّدُ عهدي أُشيِّدُ مجدي

وأبني الحضارةَ فوق الخِرَب

أظلّ سلامًا لأهل السلامِ

وأشعلُ نارًا على المغتصِب

القضية البوسنية المعذبة

علـى الـرغـم مـن كـلِّ هـذا الجـفـافْ

تـسـيـلُ دمـوعـي وتـسـقـي الـضِّـفـافْ

قـضـيّـةُ شـعـبـي كـمـوجِ الـبـحـار

تـروحُ وتـغـدو بـنـفـسِ المـطـاف

أرى المـوجَ يـشـبـهُ حـسِّـي المـشُـوق

إلـى مـوطـنـي هـاجـمًـا لا أخـاف

☆☆☆☆

أيـا غـضـب المـوجِ صـور – لَـعَـمْـرُ

كَ – سخطي وحقدي على الغاصبينْ

إلامَ أيَـا بـحـرُ نـبـقـى نمـوج

ومـا أيّ شـعـبٍ لـشـعـبـي يُـعـين

تـظـلُّ الـقـضـيـةُ فـي شـطِّـهـا

بـنـفـسِ المـجـال طـوالَ الـسـنـين

****

ماسة البوسنة

كتيبة القوات الخاصة النسائية بجيش البوسنة

ربيع السعيد عبد الحليم[1]

قُـمْ فـي فَـمِ الأزمــانِ مَـجِّـدْ «فـاطمَـهْ»

لِجِـهـادِهــا أعـــوامَ حَـــربٍ عـارِمَـهْ

هَـبَّـت لُـنـصـرَةِ ديـنِـهـا.. أكــرِمْ بِـها

لا تـرتـضـي ذلَّ الـحـيـاة الـنّـاعِـمَـهْ

ذبــحَ الـوحـوشُ خـطـيبَـهـا.. وتـدفـقـتْ

بــركُ الـدمـاء عـلـى الـربـوع الـواجـمـه

خـطـفـوا الـنـسـاءَ وروَّعُـــوا أطفالَنـا

دكُّــوا المـسـاجـدَ.. مـن قــديمٍ قـائمـه

وتـــواطَـــأت (أممٌ) تـتـيـهُ بـعـدلـهـا!

لـم تـنـصـرِ المـظـلـومَ بـل هــيَ ظالمه

لا يـا جـيـوشَ الـظُّـلـمِ إنــي مسلمةْ

لا أقـبـلُ الـعـيـشَ الـذلـيـلَ كَـسَـائمـه

سـأخـوضُ حـربًـا ضـدكم قسمًـا بـربْـ

ـبِـيْ إنـهـا حـــربٌ ضـــروسٌ ضـارمـه

أغـشــى الـوغـى بـضــراوةٍ وبـســالـةٍ

أحـمـي الـعـرينَ مـن الـوحـوشِ الهاجمه

---

(١) ربيع السعيد عبد الحليم، شاعر مصري، ونشر قصيدته هذه في مجلة «الأدب الإسلامي» التي تصدر عن رابطة الأدب الإسلامي العالمية، السنة٣، العدد١١، ربيع الأول ١٤١٧هـ، الصفحة ٥٧.

طـرحـتْ ثـيـابَ الخــزِّ عـن أعـطـافِـهـا

وتــســربَــلَــتْ بــالــسَّــابــغــاتِ الــقــاتـمـه

ألــقــتْ بــعــيــدًا عِــطــرَهــا وحُــلــيَّــهـا

وتــعــلــمــتْ ســبــلَ الــقــتــالِ الــصَّــارمـه

قـــــادتْ فــريــقًــا لــلــنــســاء مــبــاركًــا

خُــضْــنَ الــغِــمــار بــقــاذفــاتٍ راجــمـه

أثــبــتْـــنَ فــي فــنِّ الــقــتــالِ ضـــراوةً

هُــنَّ الــكــمــاةُ ذوو الــوجــوهِ الــحــازمـه

(يـسـمـيـنـةٌ) صَـرعـتْ بـضـربـةِ رجـلِـهـا

وحــشًــا يــنــفِّــذُ بــالــســلاح جــرائــمـه

وأتـــــى لــيــصــرعَــهــا لَــعِــيــنٌ آخــرٌ

فـاسـتـبـسـلتْ.. لـحـظـاتُ عـمـرٍ حـاسـمـه

كــاد الــجــبــانُ يــشــلُّــهــا وإذا بِــنــا

رِ رصــاصــةٍ تــجــتــازُ مــنــه مــلاغــمـه

يــا (زهـــــرةٌ)! الــلــهُ ســـدّدَ رمــيــةً

صَــوَّبْــتِــهــا لــلــعــلــجِ..أســوأ خــاتـمـه

صَــوَّبْــتِــهــا بــجــوارحٍ تــدعــو الإلــ

ـــه بــآيــةٍ.. كــلــمــاتُ صـــدقٍ حــاكـمـه

كـ(صـفـيـةٍ) فــي يــومِ غـــزوةِ خـنـدقٍ

حَـمَـتِ الـعـريـنَ بطعـنـةٍ هـي قـاصِـمـه

(عـــزّامـــةٌ) عَــزَمــتْ تــنــالُ شــهــادةً

زوجُ الـشـهـيـدِ عـلـى الـجـهـاد مُـداومـه

وانـظـرْ إلـى (مَـلَـكـا) تـخـوضُ بـطـبِّـهـا

أقــســى الــمــعــاركِ..لــلــعــدوِّ مُـداهـمـه

(أمـــــلٌ) أيـــا أمـــــلاً أعـــــاد إلـــى
الـــزّمـــان إلـــى المـكـــان مـكـــارمـــه[1]

بـعـدَ الـضَّـيـاعِ وذلِّـــــهِ عـــودُ إلـــى
نـــورِ الـــهـــدى.. أركـــانُ عـــزٍّ دائـمـه

كشـفَ الـقـنـاعَ عـن الـقـشـور الخَـادعـا
تِ عـن الأمـانـي الـكـاذبـاتِ الـواهـمـه

أُعـطِـيـتِ مـن طـرفِ الـلـسـانِ حـلاوةً
وسـقـوكِ سُـمَّ الـفـلـسـفـاتِ الـهـادمـه

مـا بـين (تـنـويـرٍ) و(مـركَـســةٍ) مضتْ
ضـــاعـــتّ مـعـــالـــمُ أمــــةٍ مـتـلاومـه

لـكـنـهـا رجـــعـــتْ لـــعـــزةِ ديـنـهـا
واسـتـنـهـضـتْ هـمـمًـا تـعـيـدُ قـوائـمـه

بـكـتـيـبـةٍ لــلــهِ دُرّ نـسـائـهـا
والـــعـــازمـــات لـيـحـمـيَـــنَّ مـحـارمـه

هـــي (مـــاسَـــةٌ) بـجـبـينِ شـعـبٍ صـابـرٍ
تحـيـي الـكـرامـةَ فـي الـشـعـوب الـنـائـمـه

****

---

(١) هكذا ورد في المصدر

لاتقلعوني من جذوري

رفعت عبد الوهاب المرصفي[(١)]

لا تُـخـرِجـونـي مـن بـلادي المسلمهْ
إنــي سـأبـقَـى رغـمَ أنــفِ المحكمهْ
قَـومِـي أُبـيـدوا والـعُـيـونُ نـواظـرُ
والجــرمُ قـــاسٍ والحـقـيـقـةُ مـؤلمه
مـــاذا تـبـقَّـى مِـن جـرائـمَ بـعـدما
بَـقَـروا الحَـوامـلَ والصَّـبـايـا الحالمه
قـذفـوا الجـمـاجـمَ كـالـكـراتِ أمـامـهم
يـا لـلـضـمـائـرِ والـقـلـوبِ الآثـمـه
سـيـسـطِّـرُ الـتـاريـخُ فـصـلاً أسـودًا
فـالـعـارُ بـاقٍ والـفـضـيـحـةُ قـائـمه
أنـا مـسـلـمٌ هــذى حـروفُ هـويـتـي
وَلْـتَـنـظـروهـا فـي جـبـيـنـي أوسـمـه
لـن يـطـفـئـوا نـورَ الإلــهِ بـحـقـدهـم
والـفـجـرُ آتٍ والـبـشـائـرُ قـادمـه

☆☆☆☆

أنا لن أبادْ
مهما قتلتم أو حرقتم
أو حصدتم في البلادْ

---

(١) رفعت عبد الوهاب المرصفي، شاعر مصري، نشر قصيدته هذه على موقع منتديات فرسان الثقافة الالكتروني، وهي على لسان طفل من البوسنة يرفض التهجير من بلاده، الموقع:http://www.omferas.com

فأنا هنا دهرٌ تعمَّقَ واكتسى
من خيرِ زادْ
وأنا هنا جذرٌ عميقٌ
طَرْحُهُ عطرٌ تسرَّبَ في حنايا الأرض
في كلِّ امتدادْ
فدمُ الشهيدِ على الثَّرى
يأتي بآلافٍ شِدادْ
ودمُ العذارى المستباحُ
سيُشعلُ الآفاقَ ثأرا وارتعادْ
أنا لن أبادْ

****

يوم الاستقلال

سالم أحمد[1]

«مستارُ» كانت يومَ الاستقلالِ
تزهو على هام الدّنا بدلالِ
شقَّتْ طريقًا في الحياة بهمَّةٍ
فإذا الوجودُ يُشِعُّ بالآمالِ
«مستارُ» تحيا في القلوب عزيزةً
تسمو موفقةَ الخُطَا بجلال
دارُ الأباةِ ومَن تسامَوْا للعُلا
مَن جَدَّدوا العَزَماتِ بالأفعال
مَن أبدعوا مَن أحسنوا مَن أسرعوا
للذود عن وطنٍ عزيزٍ غالي
وطن الرجالِ الملهمينَ يقودُهم
«الحارثُ»(*) الفذُّ الحليمُ الغالي
قاد البلادَ بحكمةٍ ورويَّةٍ
وسدادِ رأيٍ زانَهُ بِوصال
حَسْبُ النفوسِ الظَّامئاتِ إلى العلا
أن تبنيَ الأوطانَ للأجيال

---

(١) سالم أحمد، شاعر إماراتي، كتب قصيدته هذه قبل رحيله في شهر كانون ثاني ٢٠٠٩. وهي منشورة في موقع السوسنة الإلكتروني http://www.assawsana.com/home

(*) الحارث هنا هو فخامة رئيس الجمهورية البوسنية الحارث سيلاجيتش، وهناك أمر غاب عن الشاعر وهو أن رئيس جمهورية البوسنة والهرسك منذ استقلالها وفي أثناء الحرب وحتى العام ١٩٩٦ هو المغفور له علي عزت بيغوفيتش. وكان السيد حارث سيلاجيتش ساعده الأيمن ووزير خارجيته ثم رئيس الوزراء آنذاك (المراجع).